صفحات إيمانية تربوية

ابدأ بها يومك

أبو فهد المسلم

مقدمة

الحمد لله ..

الكريم ثوابُه .. الجميل بلاؤه .. الجزيل عطاؤه .. الباهر برهانه .. القاهر سلطانه.

وصلاةً وسلامًا على نبيّه المُصطفى .. وحبيبه المُرتَضى .. ورسوله المُجتبَى.

صلَّى الله عليه وسلَّم في الآخرة والأولى.

وبعـــــــد :

فدونكم أيها الكرام .. هذه السلسلة التربوية، وتلك الصفحات الإيمانية، والتي وسمناها بـ :

ابدأ بها يومك

وقد عُنيَت بالجانب الإيماني، والتربويّ، والسّلوكي، واشتملَت على نصائح وتوجيهات، للإصلاح الذّاتيّ، والبناء التوعويّ !

تمّ تجميعها بحمد الله من منشورات سبق نشرها، مع بعض الزيادات والإضافات والتنقيحات !

أسأل الله القبول لي ولكم، وأن يجعل أعمالنا هذه حُجةً لنا لا علينا !

وكتبه :

أبو فهر المسلم

جنّتك الدنيا .. تَعرُّفك على الله بأسمائه وصفاته، ومُعايشتك ذلك؛

هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، وجنّة الدنيا قبل نعيم الجِنان !!

يقول ابن القيّم رحمه الله – واصفًا هذه الجنّة – :

(فعِلْم العبد بتفرّد الرب تعالى، بالضرّ والنفع والعطاء والمنع، والخلق والرزق والإحياء والإماتة ؛ يُثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا !!

وعِلمه بسَمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السرّ وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ يُثمر له حفظ لسانه وجوارحه، وخطرات قلبه، عن كل مالا يُرضى الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك؛ الحياء باطنًا، ويثمر له الحياءُ؛ اجتناب المحرمات والقبائح !!

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته ؛ توجب له سعة الرجاء، وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة، بحسب معرفته وعلمه !!

وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزّه؛ تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة؛ أنواعًا من العبودية الظاهرة، هي موجباتها !!

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العُلى ؛ يوجب له محبةً خاصة بمنزلة أنواع العبودية !!

فرجَعت العبودية كلها؛ إلى مقتضى الأسماء والصفات).

حقًّا .. إنها جنة الدنيا، قبل جنة الآخرة !

ومن حُرم هذه؛ حُرم تلك !!

فمعرفتُك ربَّك على هذا النحو؛ تدفعك دفعًا إلى مراقبته، في السرّ والعلَن، وافتقارك

التامّ دومًا وأبدًا، إلى عفوه وإحسانه !

فمَن عرَف حقيقة ربّه ؛ عرف حقيقة نفسِه :

(فمَن عرف ربَّه بالغنى المُطلق؛ عرف نفسه بالفقر المطلق !!

ومن عرف ربه بالقدرة التامة؛ عرف نفسه بالعجز التام !

ومن عرف ربه بالعزّ التام؛ عرف نفسه بالمسكنة التامة !

ومن عرف ربه بالعلم التام والحكمة؛ عرف نفسه بالجهل ... !!

فإن الله سبحانه استأثر بالكمال المطلق، والحمد والثناء والمجد والغنى .. والعبد فقير ناقص محتاج !!

وكلما ازدادت معرفة العبد، بنقصه وعيبه وفقره وذلّه وضعفه ؛

ازدادت معرفته لربه بأوصاف كماله).

انظر: مفتاح دار السعادة. وطريق الهجرتين

على أعتاب رمضان .. واسِ نفسَك بهذه، ومنها انطلِق !!

قال لي : تَعصِيه .. ثم تدَّعي محبَّتَه ؟!

قلتُ له : أما مَحبَّتي إيَّاه .. فَلِذاتِه، ولا غِنى لي عنها طرفةَ عين !

وأما مَعصيتي .. فَلِضعْفي، وهوَى الأمَّارةِ بالسُّوء .. !

لا قطعًا للوِصال .. ولانَقضًا للمَحبَّة !!

قال لي : تلك دَعْوى عَريضة .. لا تَستقيم !!

قلتُ له : بل حقًّا قلتُ، والحقَّ أقول .. !

قـــال : فالبَيِّنة .. وإلَّا كَذبْتَ !!

قلـــتُ : بَيِّنتي .. أنه ما قَطعَني ، وما تَركَني ، وما طَردَني !!

وما أغلق باب توبته ورجائِه دُوني !!

بل آثار رحمَاته، ودلائل مرضاتِه .. أجدها ناجزةً حاضرة !!

ألا تَراني بَعد الذَّنبِ .. أبْكَى !!

وبَعد التَّوْب .. أزْكَى !!

وبَعد العَوْد .. أتقَى ؟!!

وبعد الأَوْب .. أنقَى ؟!!

قـــال : الآن صَدَقتَ !!

﴿إلّا مَن تابَ وآمنَ وعمِل عملًا صالحًا

فأولئك يُبدِّلُ اللهُ سيئاتِهم حسَناتٍ

وكان اللهُ غفورًا رحيمًا﴾.

اشغِل نفسَك بالقَبول لا بالأعمال .. فعملٌ مردود؛ كالمولود ميتًا !!

قال ابن رجب الحنبليّ، رحمه الله:

(إخواني .. المُعَوَّل على القَبول، لا على الاجتهاد .. !

والاعتبارُ بِبِرِّ القُلوب، لا بعمَل الأبدان .. !

رُبَّ قائم .. حظُّه مِن قيامه السَّهر ..

كم مِن قائمٍ مَحروم .. وكم مِن نائمٍ مَرحوم !!

نامَ وقلبُه ذاكِر .. وهذا قامَ وقلبُه فاجر .. !

إنَّ المقاديرَ إذا ساعدَتْ ؛ ألحقَت النائمَ بالقائم !!

لكنَّ العبدَ مأمورٌ بالسَّعي في اكتسابِ الخيرات، والاجتهادِ في الأعمال الصالحات، وكلٌّ مُيَسَّر لما خُلق له).

انظر: لطائف المعارف .

قلتُ :

وعلى هذه .. تدور رَحى سعادتك ورِبحك، دنياك وأخراك !

فالقبولَ القبول .. اجعله همَّك وشُغلك ما حَييت !

فعبدٌ شغلته صورة أعماله، عن همّ قبولها ؛ مَغبونٌ خاسر !!

كيف لا ؟! وقد كان همّ الأنبياء والمُصطفَين الأخيار !!

ها هو إبراهيم الخليل، والذبيح إسماعيل ؛

يرفعان قواعد بيت الله الحرام !

حيث أشرف الأعمال، وأتقى العُمّال، والتكليفُ بوَحي ذي الجلال !

فلا أطيب من هكذا دلائل؛ على ضمان الأجر والقَبول !

ومع ذلك .. يفزع النبيّان الكريمان، بعد التمام .. إلى ما ؟!!

إلى رجاءة القَبول لا غير !!

﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾

لمَّا قرأها بعض السَّلف؛ بكى، وقال :

(هذان نبيّان كريمان،يخافان ألا يُتقبَّل منهما، فكيف بنا وبأمثالنا ؟!).

فسَل اللهَ القَبول ما حييتَ، وخُذ بأسبابه من التقوى والإخلاص ،

فإنما ﴿يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾

إلى الزوجين .. يا آدم ؛ أين أنت من حوَّائِك ؟!!

- تأمَّل قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا﴾
- وقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾
- وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾

إذا تأمّلتها جميعًا .. وجدتَ الدِّلالة بوضوح :

على أن زوجَكَ من نفسِك !!

فهي منك .. ولك .. وبك .. وهي بعضك !!

فإذا كان ذلك كذلك .. فاعلم :

أن لها ما لَك ، وعليها ما عليك !!

فإن ضمَمتَ إلى ذلك؛ قوله عليه السلام – كما في الصحيحين – :

(لا يؤمن أحدُكم؛ حتى يُحب لأخيه، ما يُحب لنفسه).

وقد تقرَّر لديك، أنها من نفسك !!

فكيف لا تُحبّ وترجو لها، من السعادة والراحة وطيب المَعشر ؛

ما تُحبّه أنت وترجوه ؟!!

فلا تُغفِل هذه ما حَييتَ – وكذا هي – :

زوجك من نفسك .. فلها ما لك ، وعليها ما عليك !!

بهذه فقط ؛ يُدفَع المَلل والسآمة بينكما !

ومعلومٌ أنَّ المَلل للمُستحسَن؛ قد يقع .. فكيف للمَكروه ؟!!

بِرَّ والدَيك ما استطعتَ .. واحْذَر شُؤم العقوق !!

وهل في الدنيا؛ أنعم وأطيب، ممَّن عاش له أبواه، أو أحدهما ؟!!

فسَارِع ببرّك قبل أن يُدركهما الأجل، ولَيتك تستطيع الوفاء !!

وأنَّى لك به .. والدَّين كبير، ولا طاقة لك بالسّداد !!

* فهذا أبوك .. يقول عنه نبيّنا عليه السلام :

(لا يَجزي ولدٌ والدًا؛ إلا أن يَجده مملوكًا؛ فيَشتريَه فيُعتقَه).

رواه مسلم وغيره.

= فهل لك إلى ذلك من سبيل ؟!!

* وأما الأمّ .. فقد أخرج البخاري بإسنادٍ صحيح، في الأدب المفرد :

(عن أبى بردة :

شهد ابنُ عمر رجلًا يمانيًّا يطوف بالبيت، حمل أمَّه وراء ظهره ، يقول : إني لها بَعيرها المُذللْ *** إن أذعِرَت رِكابُها لم أذعَرَ

ثم قال: يا ابن عمر .. أترانى جَزيتها ؟!!

قال: لا ولا بزفرةٍ واحدة).

والمراد بالزَّفرة: تردّد النَّفَس الخارج عند الولادة، المعروف بالطَّلْق .

= فهل تراك قادرًا على الوفاء ؟!!

* وأما شُؤم عقوقهما ودعائهما عليك؛ فيُوفَّى ولو في حقير ؛ إلا أن يشاء الله !!

= ذكر الإمامُ ابن خَلِّكَان رحمه الله، في كتابه وفَيَات الأعيان؛ قال:

(ورأيتُ في تاريخ بعض المتأخرين :

أن الزمخشري لمَّا دخل بغداد، واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغَانيّ ؛ سأله عن سبب قَطْع رِجْله، فقال: دعاء الوالدة !!

وذلك أني في صِباي أمسكتُ عصفورًا، وربَطْتُه بخيطٍ في رِجْلِه، وأفْلَتَ من يدي، فأدركتُه وقد دخل في خرْق، فجذَبْتُه .. فانقَطَعتْ رِجْلُه في الخَيط .. فتألَّمَتْ والدتي لذلك، وقالت:

قطَعَ اللهُ رِجْلَ الأبعَد، كما قَطعْتَ رِجْلَه !!

فلما وصلْتُ إلى سِنِّ الطلَب؛ رحلتُ إلى بُخَارَى لطلب العلم، فسقَطْتُ عن الدابَّة؛ فانكسَرَتْ رِجْلِي، وعمِلَتْ عليَّ عملًا أوجبَ قطعَها).

فيا مُقصّر – وكلّنا ذاك –؛ تدارَكهما ببرّك قبل الفوات !

ومهما برَرتَ؛ فدَينك عندهما كبير، ولا طريق إلى السداد ولا سبيل!

فاغْتَنِم ما بقي، وتُب ممَّا مضى .. وإلا أُخِذْت بما بقي وما فات !!

واعْلَم أن ذلك من الدَّين الذي به تُدان، والجزاء من جنس العمل !!

ومَن فاتَه أبواه؛ فلا ييأس ولا يقنط؛ وليجتهد في الصدقَات والدَّعوات!

= فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد، بإسنادٍ حسن :

عن أبي هريرة قال :

(تُرفع للميت بعد موته درجتُه .. فيقول: أيْ ربّ ! أيّ شيءٍ هذه ؟!! فيقال: ولدك استغفر لك).

فاللهمَّ اغفر لآبائنا وأمهاتنا .. أحياءً وأمواتًا،ولا تحرمنا رضاك وإياهما !

لا تغترَّ بالكثرة مِن حَولك .. في مجلسِك، أو خُطبتِك، أو دعْوتك !!

أورد الذَّهبي رحمه الله، في السِّيَر :

(قال عبد الرحمن بن مَهدي :

كنتُ أجلس يوم الجمعة، فإذا كثر الناس؛ فَرِحتُ، وإذا قلُّوا؛ حَزنتُ !

فسألتُ بشر بن منصور، فقال: هذا مجلسُ سُوء، فلا تَعُد إليه. فما عُدتُ إليه .

وعن مالك رحمه الله :

كنتُ آتي نافعًا، وأنا غلامٌ حديث السِّن، فينزل ويُحدثني ،

وكان يجلس بعد الصبح في المسجد، لا يكاد يأتيه أحد .

وعن الأوزاعي رحمه الله :

مات عطاءُ بن أبي رباح يوم مات، وهو أرضَى أهل الأرض عند الناس،

وما كان يشهد مجلسَه إلا تسعة أو ثمانية).

انظر: سِيَر أعلام النبلاء.

قلتُ :

يرحمُ الله سلفنَا .. ما أخلصَهم لله ، وأخشاهم له !!

فطِنُوا إلى الداء العُضال؛ بالالتفات إلى الناس، فهَجروه ومَضوا !!

شعارهم " إنِّي مُهاجرٌ إلى ربِّي " !

فأبَى الله إلَّا أن يجمع عليهم القلوب، ويَضع لهم القَبول ؛ كلّ زمانٍ ومكان !!

وماهي إلَّا بركة الإخلاص، وعدم الالتفات إلى الناس !!

فلا تغتمَّ بالقِلَّة، أو تأسفنَّ لغُربَة .. فهي إلى النجاة أقرب !!

ومَن أخلصَ وصبرَ ؛ جمَع اللهُ عليه القلوب، ولو بعد حين !!

متى تشكر ربَّك ؟!!

قال ابن الجوزي رحمه الله :

(كلما نظرتُ في تواصل النِّعم عليَّ ؛ تَحيرتُ في شُكرها !!
وأعلم أن الشكر من النعم .. فكيف أشكر ؟!!
لكني مُعترف بالتقصير،وأرجو أن يكون اعترافي قائمًا ببعض الحقوق)
انظر: صيد الخاطر.

قلتُ :

وصدق والله !!
فحتَّى مجرّد تذكير الله إيّانا بشكر النعمة؛ نعمة أخرى مُستجِدة !
فمتَى نشكر .. ؟!!
بل كيف نشكر، ولا طاقة لنا بعَدّ النِّعم وإحصائها ؟!!
﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾
ولمَّا كان عدّ النِّعم؛ غير مُستطاع .. وإحصاؤها؛ غير مقدور :
سبقَت توبتُه علينا، ووسِعَت رحمتُه عجزَنا :

﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾
﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾

فاللهمَّ إنَّا لا نملك إلَّا القليل – قولًا وعملًا – لشُكر نعمائك ؛
وحتى هذا فمِنك .. ولا حول لنا ولا قوة بنا لذلك؛ إلا بِك !!
لكنَّا مُقرّون بعجزنا، مُعترفون بفقرنا، فاغْفر اللهم لنا !!

أحسِنْ كما أحسَن الله إليك .. وتعرَّف عليه ؛ تُحبّه !!

قال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي رحمه الله، في كتابه الفنون :

(لقد عظَّم اللهُ ... ابنَ آدم، حيث أباحَه الشِّرْكَ عند الإكراه !!

فمَن قدَّم حُرمةَ نفسِك على حُرمتِه، حتى أباحَك أن تتوقَّى عن نفسِك، بذِكره بما لا ينبغي له سبحانه ؛

لحقيقٌ أن تُعظِّم شعائرَه، وتُوقِّر أوامرَه وزواجرَه !!

وعصَم عِرضَك بإيجابِ الحدِّ بقذفِك !! وعصَم مالَك بقطع يدِ مسلمٍ في سرقته !! وأسقط شطرَ الصلاة في السفر لأجل مشقَّتك !!

وأقام مسحَ الخُفِّ مقامَ غسْل الرِّجل؛ إشفاقًا عليك من مشقة الخَلع واللبس !! وأباحك المَيتةَ سدًّا لرمَقك، وحفظًا لصحتك !!

وزجرَك عن مضارِّك بحدٍ عاجل، ووعيدٍ آجل، وخرَقَ العوائد لأجلك !!

وأنزل الكتبَ إليك !!

أيَحسُن لك مع هذا الإكرام؛ أن يرَاك على ما نهَاك عنه مُنهمِكًا ؟!!

ولِمَا أمَرك تاركًا ؟!! وعلى ما زجَرك مُرتكبًا ؟!! وعن داعِيه مُعرِضًا ؟!!

ولداعي عدُوه فيك مُطيعًا ؟!!

يَعِظ وهو هو !! وتُهمل أمرَه، وأنت أنت !!

حَطَّ رُتبةَ عبادِه لأجلك، وأهبط إلى الأرض مَن امتنع مِن سجدةٍ يَسجدها لأبيك. !!

فإن لم تعترَف اعترافَ العبد للمَوالي؛ فلا أقلَّ مِن أن تقتضِيَ نفسَك للخالق سبحانه؛ اقتضاء المُكافي المُساوي !!

ما أفحشَ تلاعُب الشيطان بالإنسان !!

بيْنا هو بحضرة الحقِّ، وملائكة السماء سجودٌ له .. تَترامى به الأحوالُ والجهالاتُ؛ إلى أن

يوجدَ ساجدًا لصورةٍ في حجر!! أو لشجرةٍ من الشجر!! أو لشمسٍ أو لقَمر !! أو لصورةِ ثَور خَار !! أو لطائرٍ صَفَر !!

ماأوحشَ زوال النِّعم !! وتغيُّر الأحوال !! والحَور بعد الكَور !!

لا يليق بهذا الحيِّ الكريم، الفاضل على جميع الحيوانات .. ؛

أن يُرَى إلَّا :

عابدًا لله في دار التكليف !! أو مجاورًا لله في دار الجزاء والتشريف !!

وما بين ذلك .. فهو واضعٌ نفسَه في غير مَوضعها).

انظر: الدُرر السّنية.

قلتُ :

فانظر .. وتأمَّل .. وتدبَّر !!

كيف يُعاملُك .. وكيف تُعامله !!

كيف يُقرّبُك .. وأنت تَفرّ منه، وتُؤثر البُعدَ عنه !!

كيف سخَّر لك كلَّ شيء .. وأبيتَ أن تُسخّر نفسَك له !!

فانزِع ثيابَ كِبرك، واخلع نعال بَطرك، وارفع حجابَ الرّان عن قلبك ،

وابسط بساط المسكنة، وارتدِ رداء المَكرمة؛ حتى تَنال المَرحمة !

وابْكِ واخشَع واضطرِب .. واسجُد بقلبك واقترِب !

تَجد اللهَ غفورًا رحيمًا !!

ارضَ بما قسَم .. ففيه الخيرُ كلّه؛ وإن لم ترَ !!

ذكر ابن رجب رحمه الله، عن السَّلف، قولهم :

(مِن العِصمَة .. أن لا تَجِدْ).

أنظر رسالة: التخويف من النار.

قلتُ :

فهذا من عظيم فضل الله على الناس، وهم لا يشعرون !

ألا يجدوا من السَّعة والمال والأرزاق؛ ما يَعصون به ربَّهم !

كما قال سبحانه:

﴿۞وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

فيُضيّق على من يشاء؛ لِعلمه سبحانه؛ أن مِثله لو أُعطي ؛

لفسَد حالُه، وتغيّر قلبُه، وأسرف على نفسه في جنب الله !!

فيَعصمه الله بالتضييق عليه، وهو جلَّ جلاله؛ على الحقيقة؛ يُهذّبه !

فلا تظننَّ أن كلَّ تضييقٍ عليك؛ إهانة !

كما لا تحسبنَّ أن كل سَعة منه عليك؛ تكون إنعامًا وكرامة !

كما قال سبحانه:

﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥
وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦ كَلَّاۖ ﴾

كلَّا .. !!

أي ليس الأمر هكذا على ظاهره !!

فليس كلّ من وسّعنا عليه؛ دليل حبّنا وإكرامنا له !

وليس كلّ من ضيّقنا عليه؛ دليل بُغضنا وإهانتنا إياه !!

بل الأمر كما قال شيبان الراعي، لسفيان الثوري:

(عُدّ منع الله إياك؛ عطاءً منه لك ؛ فإنه ما منعك بخلًا !

وإنما منعك لطفًا).

فاحْمد اللهَ على ما أنت فيه؛ ضِيقًا وسَعة، ومَن رضِي فلَه الرضا !

واعلم أن الله، قد أقامك فيما هو خير لك، دنياك وأخراك !

وهذا لا يَمنعك أبدًا .. أن تطمع في سَعته وإكرامه وفضله ؛

فقد يُهذّبك أولًا بالتضييق .. ثم يُكافئك بالفضل والسَّعة !

فأرِه الصبرَ الجميل .. ترَى عن قُربٍ ما يَسُرّ !

يارب ثبِّتنا بالناصحين .. واجعلنا على الحقّ مُرابطين !!

رُوي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال :

(كنتُ كثيرًا أسمع والدي يقول:

رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم !!

فقلت: يا أبه ! من أبو الهيثم ؟!!

قــال: ألا تعرفه ؟!

فقلت: لا.

قــال: أبو الهيثم الحداد .. اليوم الذي أُخرجتُ فيه للسّياط، ومُدّت يداي للعقابين، إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني ؟!

فقلت: لا.

قــال: أنا أبو الهيثم العيّار .. اللصّ الطرّار !

مكتوب في ديوان أمير المؤمنين؛ أني ضُربتُ ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق!

وصبرتُ في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا .. ؛

فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين).

انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي.

قلتُ :

وهاهنا فائدتان كريمتان :

أما الأولى :

فما أحوجنا إلى مثل هذا الناصح الأمين، وإن كان ممّن لا يُؤبه له، ولا يُلتفَت إلى مثله، فاللهُ أعلم حيث يَجعل رسالتَه !!

فكَم كان لنصيحة هذا اللصّ التائب – نحسبه –؛ من أعظم البركة والأثر، على قلب الإمام وتثبيته !!

لذا .. كان الإمام يتعاهده بالدعاء، ويُكثِر الترحّم عليه !!

فياربّ لا تحرمنا الأمناء الناصحين، الذين يُقوّمون، ويُسدّدون، ويُثبّتون!

والفائدة الثانية :

فلَإن كان أهل الحرام والباطل، أصبر وأجلد .. على تحمّل الألم والسياط والضُّر؛ في طاعة الشيطان لأجل الدنيا ؛

أوَليس أجدر بأهل الحقّ والإيمان؛ أن يكونوا أجلد وأصبر، على تحمّلها في سبيل الله، لأجل الآخرة ؟!!

فاللهمّ عافنا ولا تبتلنا .. ومتى ابتليتنا؛ فصبّرنا وثبّتنا على الحقّ، ولا تُزغ قلوبَنا بعد إذ هديتنا !!

الولاء على التقوى .. لا على التراب !!

قال ابن تيمية رحمه الله :

(فأفضل البلاد في حقّ كلّ شخص ؛ حيث كان أبرَّ وأتقَى !!

وإن أكرم الخلق عند الله .. أتقاهم).

انظر: مسألة في المرابطة.

قلتُ :

فكُن حيث يكون صلاحُك .. وحيث أمرَك الله !

ولا تتقيَّد بالتراب .. فإنه لِذَاته؛ حسرةٌ وسراب !!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾

اللهمَّ لا تحرمنا أجرَ الدلالة عليك !!

رَوى البيهقيّ بإسناده :

(قيل لعبد الله بن المبارك :

لو قيل لك: لم يَبق من عمرك إلا يومٌ .. ما كنتَ صانعًا ؟!!

قال: كنتُ أُعلِّم الناس).

انظر: المدخل إلى السنن الكبرى.

قلتُ :

وهاهنا فائدتان كريمتان :

الأولى :

فضل العلم وعظيم قدْره ،

وكونه من أجَلّ ما تُنفَق فيه الأنفاس والأعمار !!

وهذا أشهر من أن يُذكَر .. وأكثر من أن يُحصَر !!

الثانية :

حرص العلماء الربانيين؛ على دعوة المسلمين، وشفقتهم عليهم ،

والعمل على نجاتهم ونفَعهم، إلى آخر الأنفاس، ومفارقة الأرواح !!

فاللهمَّ اجعلنا من هؤلاء ولا تحرمنا !

لعْنةُ اللهِ على الذَّكاء بِلا إيمان .. ورَضِيَ اللهُ عن البَلادَة مع التقوَى !!

مِمّن ترجَم لهم الذهَبي رحمه الله، في كتابه الماتع :" سِير أعلام النبلاء " .. ابن الراوندي أحمد بن يحيى بن إسحاق ..!

وكان ممَّن يُشار إليه، في عِلمه وذكائه وحِدَّة نظرِه، ورُجحان عقْله !!

حتَّى أنَّه صنَّف في الردِّ على النصارى !!

(قال البَلْخي :

لم يكن في نُظراء ابنِ الراوندي مثله في المعقول !!

وكان أوَّل أمره حسَن السيرة، كثير الحياء، ثم انسلخ من ذلك لأسباب، وكان علمُه فوق عقلِه ... !!

وقيل: إنه اختلف إلى المُبرِّد، فبعْد أيامٍ قال المُبرّد :

لو اختلف إليَّ سَنة، لاحتجتُ أن أقوم وأجلسه مكاني).

انظر: سيَر أعلام النبلاء.

قلتُ :

إلَّا أنَّه ومع ماذُكر؛ قد مرَّ طيلة حياته – على قِصرِها – ؛

بتحوُّلاتٍ فكريَّة، وتعدُّداتٍ مذهبيَّة، أفضَت به في نهاية المَطاف، إلى الإلحاد والزَّندقة !!

ولاحول ولاقوة إلَّا بالله .. يَعصمُ من يشاء !!

قال الذَّهبي في ترجمته :

(المُلحِد، عدوّ الدِّين، صاحب التصانيف في الحطِّ على المِلَّة ... !!

قال ابن عقيل :

عجبي كيف لم يُقتل ؟! وقد صنَّف "الدامغ"، يدمغ به القرآن،

و "الزمردة"، يزري فيه على النبوات ... !!

وألَّف لليهود والنصارى، يَحتجُّ لهم في إبطال نُبوَّة سيِّد البشر).

وهذا ماجعَل الذهبيَّ رحمه الله، يختتم ترجمتَه بقولِه :

(لعَن اللهُ الذكاءَ بلا إيمان .. ورضِي اللهُ عن البَلادة مع التقوى).

قلتُ :

فعَلامَ يأمَنُ أحدُنا ؛ مع قِلَّة البضاعة، وبَلادة الذِّهن، وعطَن الفَهم ؟!!

فكيف لو انضمَّ إلى ذلك؛ شهوةٌ خفيَّة، وشُبهةٌ غويَّة، والْتِماس رضا الناس ؟!!

فمَا أفلحَ إلَّا صادق، وما نجَا إلَّا مُخلِص، وما سَعد إلَّا التَّقِيّ النَّقِيّ !!

فحَرِيٌّ أن يُرزق مثلُه؛ الذَّكاء المَرضِيّ، والسّداد الإلهي !!

فاللهمَّ عفْوَك ومُسامحَتك .. لاإله إلَّا أنت !!

نُكتةٌ لطيفة .. من فقه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر !!

في قوله تعالى:

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾

قال الثعالبيُّ رحمه الله، في تفسيره :

(وقال حُذَّاق أهْل العِلْم :

ليْسَ من شروط الناهِي؛ أنْ يكون سليمًا من المَعْصية !!

بل يَنهَى العُصَاةُ بعضُهم بعضًا) .

وفي قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾

قال السّعدي رحمه الله، في تفسيره :

(وليس في الآية .. أن الإنسان إذا لم يَقم بما أُمر به ؛

أنه يَترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر !!

لأنها دلَّت على التوبيخ، بالنسبة إلى الواجبَين، وإلا ..

فمن المعلوم؛ أن على الإنسان واجبين :

أمْر غيره ونَهيه .. وأمْر نفسه ونهيها !

فترْك أحدهما .. لا يكون رخصة في ترْك الآخر !!

فإن الكمال؛ أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما !

وأما قيامه بأحدهما دون الآخر؛فليس في رُتبة الأوّل،وهو دون الأخير).

قلتُ :

وفي الجملة .. !!

فترْكُك للمعروف؛ ليس مُسوّغًا لترْك الأمر به .. !

وإتيانك المُنكر؛ ليس رخصةً لترك النَّهي عنه .. !

إذ ذاك .. ليس من شرط الآمر ولا الناهي !!

وإن كان الكمال .. الجمع بين الأمر والفعل، والترك والنهي !!

والتقصير في أحدها .. مَجلبةٌ للنقص والإثم !

مِن أدب العِلم وأهلِه !!

قال ابن مُفلح رحمه الله :

(وقَد رَمى رجلٌ بكتابٍ عند أحمد، فغضب !!
وقال: هكذا يُفعَل بكلام الأبرار ؟!!).

قلتُ :

وأشدُّ من ذلك وأعظم؛ هَجرُ مذاهبِ هؤلاء الأكابر واجتهاداتِهم، التي بَنَوها على الحُجَّة والدليل؛ لِكلام مُحدَثٍ خالفَهم لهَوَى؛ وحادَ عن السبيل !!
فالْزَم الغرزَ الأوَّلَ؛ تَسلَم .. واقْتفِ أثَرهم في الفَهْم والاستنباط؛ تَغنَم ..
وإلَّا فسوف تَندَم !!

أبكاني وربِّي هذا الشيخ المُسِنّ !!

منذ فترة، وداخل إحدى المستشفيات، وفي صالة انتظار المرضى؛

وإذا بشيخٍ قد قارَب التسعين من عُمره !!

وقد أسدل شِماغَه على رأسه ووجهه، وغطَّى عينيه فلا يَرى !!

وكلَّما مرَّ بعض الوقت؛ كشف الغطاء عن وجهه قليلًا ..

ليسأل حفيدَه : هل حضر الدكتور ؟!!

فيُجيبه : لا .. !

فيعود كما كان، ويُسدل غطاءَه على وجهه، مرَّةً أخرى !!

وهكذا دواليَك .. يُكرِّر ويَفعل؛ مرَّاتٍ ومرَّات !!

ظننتُ لأوَّل وَهلَة؛ أن بوجهه برَصًا أو حروقًا، أو مرضًا يُخفيه !!

فلمَّا سألنا حفيدَه عن سبب ذلك، ولِمَ يَفعل جَدُّه ذلك ؟!!

تَخيَّلُوا .. ماذا قال ؟!!!

قال: جدِّي يُخفِي وجهَه؛ حتى لا يَرى وجوهَ المُمرِّضات !!!

الله أكبر !!

وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلًا *** فقد صاروا أقلَّ من القليلِ

ووالله .. بأمثال هؤلاء نُرزَق ونُحفَظ !!

إلى صاحبي .. القائم لله بالحقّ والقسط !!

من عجَبٍ !!

قوله سبحانه :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾

فانظر كيف اقتضَت حكمتُه الباهرة؛ تدافع الخير والشر!

وكيف أن قُوى الشرّ، كثيرةٌ مُتشعّبة مُتعدّدة !

في حين أن قُوى الخير، ضئيلةٌ ظاهرًا غير مُوازية !

وإلى ذلك أشار بقوله :

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾

فتأمّل .. !!

كيف أنه جعل أمام كلّ نبيٍّ .. عدوًّا !

ثم كشف عن حقيقة ذاك العدوّ، وكيف أنه ليس واحدًا !

بل شياطين عددًا .. وطرائق قِددًا !

وأن الإنس أقواهم كيدًا، وأشدّهم غيًّا وعدْوًا !

حتى وسَم مَكرهم وكيدهم بالشيطنة "شَيَاطِينَ الْإِنْس"!

فيا للّه !!

كم من شيطان إنس، أوْلى بالرجم من شيطان جنّ !

وما ذاك إلا لأنه العدوّ الحاضر .. وشيطان الجنّ غائبٌ خافٍ !

فكان كيدُه أقوى، ومَكره أتمّ، وعداوته أشنع !

فلُذْ بالله واعتصم .. واستعِن به ولا تعجز !

وقُم له ولا تخَف .. وأرضِه ولا تُبالِ !

ولا تَهَب : ﴿جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ !

ولا تَجبُن : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ !

وتذكّر : ﴿بَلِّغْ ... وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ !

وتسلَّ : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ﴾ !

وتعـزَّ : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ !

وأيقِن : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ !

وأبشِر : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ !

حقّ القرآن .. يا أمّة القرآن !!

في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ !!

قالوا في تفسيرها:

(هو أن يَذكر الحرف، ويَعلم معناه، ويعمل به، فهذا هو حقّ التلاوة).

ومن هاهنا .. فقد كان جُلّ هَمّ الصحابة رضوان الله عليهم؛ مصروفًا إلى ذلك، والجمع بين تعلّمه وإن قلّ، والعمل بمقتضاه !

كما قال ابن مسعود رضي الله عنه:

(كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات؛ لم يتجاوزهنَّ حتى يَعرف معانيهنَّ والعمل بهنّ).

وروى مالك في موطّئه، أنه بلغَه :

(أن عبد الله بن عمر،مكث على سورة البقرة؛ ثماني سنين يتَعلمها)

قال القاضي ابن العربي رحمه الله:

(سمعت بعض أشياخي يقول:

إن في سورة البقرة .. ألف أمر، وألف خبر، وألف نهي، وألف حكم !!

فلأجل ذلك؛ أقام عليها ابن عمر ثمان سنين).

انظر: المسالك في شرح موطأ مالك.

قلتُ : فيا للّه .. !!

كم تعمَّقت واستحكمَت، غربةُ القرآن بين أهله، في هذه الأزمان !!

فكثيرٌ ممَّن يتفاخرون بحمْلِه – إلا من رحم – ؛

يُقيمون حُروفه، إقامة السهام، وليس في قلوبهم من بركاته ؛ حبّة خردلٍ من إيمان !

وآخرون يتلُونه بالليل والنهار،ولا تظهر عليهم بركاتُه في قولٍ أو عمل!
وآخرون صرفوا جُلّ هِمَّتهم، إلى التربُّح به على غير وجهٍ مباح !
وآخرون صيَّروه في حياتهم؛ غائبًا لا يَحضر إلا في المناسبات !
ناهيك عن الهجر الجماعيّ، لتحكيمه وتشريعه وإقامة حدوده !!
وما عاد القرآن في حياة كثير من المسلمين – إلا من رحم – ؛
إلا تمائم وتعويذات وأحرازًا، يأتيها صاحبُها إذا مسَّه الضُّرّ !
وبدلًا من أن يتجسّد في حياة المسلمين، واقعًا عمليًّا ؛
تجمَّد بالنقوش على الحوائط والمحاريب، وتمّ إيداعه بالمحبس القطيفة .. فإنَّا لله !!

وكلُّ ذلك من ترْك القرآن وهَجره، الذي شكاه رسولُنا لربِّنا :
﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا﴾

يقول ابن القيّم رحمه الله :
(قال بعض السلف: (نزل القرآن ليُعمل به، فاتخذوا تلاوته عملًا).
ولهذا كان أهل القرآن .. هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب!!
وأما مَن حفظه، ولم يفهمه، ولم يعمل بما فيه ؛
فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامة السهم).

انظر: زاد المعاد.

فاللهَ اللهَ .. في القرآن يا أمّة القرآن !!
تلاوةً وتعلّمًا، وتطبيقًا وعملًا وتحاكمًا، وتخلُّقًا به وتعاملًا !!
والله يغفر ويعفو عمَّا وراء ذلك، من تقصيرٍ وخلل !

دينُك دينك .. لحمُك ودمُك !!

قال المرُّوذي رحمه الله :

(قال سفيان بن عيينة: قال أبو حازم :

لوددتُ أن أحدكم يَتَّقي على دينه؛ كما يتَّقي على نَعلِه).

انظر: كتاب الورع.

يتَّقي: أي يَخشَى عليه، ويَحفظه من ضياعه !

بادِر وتدارَك .. فالنجاةُ لا تعرف سِنًّا !!

لسِنّ العشرينات .. فقهٌ يخصُّه، وخطابٌ يُناسبُه !
وكذلك .. الثلاثينات، والأربعينات، والخمسينات ... إلخ !

ولكن .. !

هناك حتمٌ مكتوب .. ووعدٌ ممدود !
لا يُخطئهما ؛ سنٌّ، ولا عمُر، ولا حال !
حتى تُغرغِر الروحُ في حُلقومها .. وتُستَلّ من جسدها !

أما الحتم المكتوب :

﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾

وأما الوعد الممدود، والذي لا يتخلّف :

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾
فتُب وإن طالَت بك حياة، وجدّد إيمانك وإن هجم المشيب !
فلازِلتَ نفْسًا تتنفَّس، وجسدًا يتحرّك، وجوارح تعمل !
فلعلّ ساعة الرضا، ونظرة العفو والصفح؛ لم تحِن بعد !

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾
كلّ ذاك، وأنت مُتوكّلٌ لا مُتواكل .. وعاملٌ غير عاطل !

يوم أن كان العالِمُ مَخشيًّا مُهابًا !!

ذكر ابن عبد البرّ، في ترجمة " أبو بكر بن عبد الرحمن "،

أحد فقهاء المدينة، الذين كان عليهم مدار الفتوى :

(قال عبد الملك بن مروان :

إني لأهِمّ بالشيء أفعله بأهل المدينة، لسُوء أثرهم عندنا ؛

فأذكر أبا بكر، فأستحي منه، وأدَعُ ذلك الأمر).

انظر: التمهيد .

قُطَّاع طريق الله ورسولِه !!

في قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

فسَّر الجمهورُ المحاربة هاهنا :

بقطع الطريق على الناس، والاعتداء على حُرماتهم، واستباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم !!

فإذا كان مَن يقطع الطريق على مسلم، لأجْل سرقة وغيرها من أعراض الدنيا .. قد سُمّي محاربًا لله ورسولِه ؛

فكيف بمَن يقطع على الناس؛ الطريقَ على دين الله ورسولِه ؟!!

بمُحاربة دينِه، وإماتةِ شريعته، ومُعاداة سُنّة رسوله، وتشويه ثوابت الدين وتعاليمِه، وإعلاء شرائع الكفر على شرائع الإيمان !!

فهَل هؤلاء إلَّا مُحاربون .. مُحادّون .. مُعادُون لله ورسولِه ؟!!

بل إن ما يستوجبونه من الإثم والعقوبة، جرَّاء دحض شعيرة واحدة من الدّين؛ يُعادل أضعاف أضعاف ذهاب دنيا الناس وأعراضهم !

وربُّنا الرحمن المستعان !

حُجُب العلم والفهم !!

قال الزّركشيّ رحمه الله :

(واعلم أنه لا يحصل للناظر، فهمُ معاني الوحي حقيقةً،

ولا يَظهر له أسرارُ العلم من غيب المعرفة ؛

وفي قلبه .. بدعةٌ،

أو إصرار على ذنب،

أو في قلبه كِبرٌ أو هوى،

أو حبّ الدنيا).

انظر: البرهان

الحُجَّة على العباد .. بالنصوص لا بالرؤوس !!

فدَع التقليد إلا من ضرورة !!

قال الشوكانيّ رحمه الله :

(ولم يبعث الله إلى هذه الأمة، إلا نبيًّا واحدًا أمرهم باتباعه، ونهى عن مخالفته، فقال :

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾

ولو كان محض رأي أئمة المذاهب وأتباعهم؛ حجةً على العباد ؛

لكان لهذه الأمة رسلٌ كثيرون متعددون، بعدد أهل الرأي المُكلِّفين للناس بما لم يكلفهم الله به !!

وإن من أعجب الغفلة، وأعظم الذهول عن الحق ؛

اختيار المُقلّدة لآراء الرجال، مع وجود كتاب الله، ووجود سُنّة رسوله، ووجود من يأخذونهما عنه، ووجود آلة الفهم لديهم، وملكة العقل عندهم).

انظر: فتح القدير

قلتُ :

فالذَّمّ هاهنا متوجّه، لمَن ملَك آلةَ العلم وأدواته، ثم هو يُصرّ على التقليد الأعمى، والذي لا يَعبأ معه، بمخالفة من يقلّده، للنصوص الصريحة، والبيّنات الواضحة !!

فيتّبعه اليوم على تحريم الحرام، ويُقلّده غدًا في تحليله .. هو هو !

ومثلُه قادرٌ على التمييز والترجيح والتخريج !!

ولله دَرُّ ابن القيّم رحمه الله، إذ يُحذّر من مثل ذا، قائلًا:

(ولكن التقليد يُعمي عن إدراك الحقائق، فإياك والإخلاد إلى أرضه).

انظر: بدائع الفوائد

وأما تقليد العامّة، ومن ليس له حظٌّ من التمييز؛ لمن يثقون بدينِه ؛ فأمرهم واسع، ولا تثريب عليهم، ما كان إمامهُم مُتّبعًا للدليل الصحيح، وما لم يُخالف الحقّ البيّن، وقد ظهر لهم من غير طريقه !

وليُعلَم: أن الأكابر من أمثال الأئمة الأربعة، ومن سبقهم، ومن لحق بهم، من أهل الديانة والعلم والأثر؛ كلُّهم قرَّر ذلك، مع أهليتهم الكاملة في العلم والفهم، واتباعهم للسُّنة والأثر، وتحذيرهم من تقليدهم في غير حقٍّ ودليل !

فاحذر أن تهرب من لُجَّة التقليد، وعطن الجمود؛ فتقع في مناطحة الأكابر، وتغليط السادة، بوهمك وظنّك .. وأنت من أنت، وهُم من هم !!

لن يعدَم شقيٌّ حُجّة !!

حدّثني أحد مشايخنا :

أنه وقف على حُجَّة طريفة، لبعض مُدّعي النبوّة قديمًا !!

فماذا فعل هذا الدَّعِيّ ؟!!

سمَّى نفسه : " لا " .. وكان يقول :

أنا مَن بشَّر بي محمدٌ – عليه السلام – لأنه قال :

(... ولا ؛ نبيّ بَعدي ...).

فلا تهولنَّك الحُجج وزخرفها .. وتفحَّص سلامة مبناها ومعناها !

أفلا يتدبَّرون القرآن ؟!!

قال الزَّركشيّ رحمه الله:

(ومن لطائف سورة " الكوثر " :
أنها كالمُقابِلة للتي قبلها – الماعون – !
لأن السابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة :
البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة !
فذكر هنا في مقابلة البخل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ أي الكثير !
وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿فَصَلِّ﴾ أي دُم عليها !
وفي مقابلة الرياء ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي لرضاه لا للناس !
وفي مقابلة منع الماعون ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ وأراد به التصدُّق بلَحْم الأضاحي !
فاعْتبِر هذه المناسبة العجيبة).

انظر: البرهان

ألا تسألون الله حُسن الخاتمة ؟!!

قال ابن حجر رحمه الله، في ترجمة: الحافظ شمس الدّين أبو العباس اللّخمي المعروف بابن سَنَد :

(وكان ذكيًّا، وأذِن له في الإفتاء؛ ابنُ كثير، وتاج الدين، والعلائي ... !

ورافق شيخنا العراقي ... وناب في الحكم عن القاضي شرف الدين المالكي ... وَولي مَشيخة الحديث بعدة أماكن !

وقد ذكره الذهبيّ ... فقال :

شاب يَقِظ، طلَب الحديث، وحصّل أجزاء، وخَطّه مليح، ولسانه منطلق، قرأ علي طبقات الحُفّاظ !

وقال الشّهاب ابن حجي: كان من أحسن الناس قراءة للحديث ...!

ثُم عقَّب ابن حجر قائلًا :

وفي أواخر عُمره .. تغيّر ذهنُه، ونسي غالب محفوظاته حتى القرآن!

ويقال: إن ذلك كان عقوبةً له، لكثرة وقيعته في الناس – عفا الله تعالى عنه بمنّه وكرمِه).

انظر: الدُّرر الكامنة.

قلتُ :

فَفِيمَ العُجب والكِبر والاغترار .. والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُقلّبه كيف يشاء ؟!!

فاسْتقِم كما أُمرتَ، وأصلح سريرَتك، وتوَقّ أعراض الناس إلا بحقّها، وأمسك عليك لسانك إلا من حقّ وخير !

فكَم من رجلٍ معلومٍ عند الناس .. مجهول عند الله !

والله يغفر ويُسامح .. وهو الرحمن المُستعان !

الدنيا والآخرة !!

أتَدري ما الدنيا ؟!!

نفَسٌ يدخل .. ثم الفناء !

أتَدري ما الآخرة ؟!!

نفَسٌ يعود .. ثم الخلود !

فنَقِّه هاهنا .. ليَطيب هناك !!

بأيِّ وجْهٍ تَلْقَاه .. ؟!!

قال ابن الجوزي رحمه الله :

(فَوَا عَجَبًا للمُغالِط نَفسه !!

يُرضِي ربَّه بطاعة، ثم يُرضِي نفسَه بشَهوة، ويقول: حسَنة وسَيئة!

وَيْحَك ... !!

بأيِّ وجْهٍ تلقَى ربَّك .. ؟!!

أيُسَاوي ما تنَالُه مِن الهَوى ؛ لفظَ عِتَاب ؟!!

بالله .. إن الرحمةَ بعد المُعاتبة؛ ربَّما لم تَستوفِ قَلْعَ البِغضَة من صَميم القلب .. فكيف إن أعقَب العِتابَ عقابٌ ؟!!

فنَظِّف طُرقَ الإجابة مِن أوسَاخِ المَعاصي .. فصاحبُ الذنوبِ بعيدٌ عن الإجابة).

انظر: صيد الخاطر

احْذَر المَعبود الخَفِيّ !!

الهَوى .. !!

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ؟!!

معبودٌ خفيّ .. يَصدُّ عن مَعبودٍ حقيقي !

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

يُنسَب لأبي العتاهية :

خالِف هَواكَ إذا دَعاكَ لِرِيبَةٍ * فَلَرُبَّ خَيرٍ في مُخالَفَةِ الهَوى**

وللشافعيّ :

فخَالِفْ هَوَاكَ فإنَّ الهوَى * يقودُ النفوسَ إلى ما يُعاب**

فهنيئًا لك إن فعلتَ هذه :

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾
فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾

فاللهمَّ نجّنا من الهوَى وغَيِّه .. وارزقنا الهُدى واجعلنا من أهلِه !!

جزاؤك في أخراك .. على قدر هِمَّتك في دنياك !!

قال ابن الجوزي رحمه الله :

(تأملتُ حالةً عجيبة .. وهو أن أهل الجنة الساكنين في أرضها ؛
في نقصٍ عظيم بالإضافة إلى مَن فوقهم، وهم يعلمون فضل أولئك !
فلو تفكروا فيما فاتهم من ذلك ؛ وقعَت الحسرات !!
غير أن ذلك لا يكون ... !!
إلا أن تحت هذا معنًى لطيفًا، وهو :
أن القوم خُلقت لهم هِممٌ قاصرة في الدنيا، عن طلب الفضائل ... !!
والإنسان يُحشر ومعه تلك الهمة !
فيُعطى على مقدار ما حصَّلَتْ في الدنيا .. فكما لم تَتُق إلى الكمال، وقنعَت بالدُّون ؛
قنعَت في الآخرة بمثل ذلك ... !!
فافْهم ما قلتُه وبَادِر، فهذا ميدان السباق).

انظر : صيد الخاطر.

قلتُ :

فبادِر وسارِع إلى طلب المعالي والمَكرُمات !!
واختَر لنفسك الأزكَى والأطيب !!
ولا ترضَى بالدُّون والأبعد !!
ولا يظلم ربُّك أحدًا !

الْزَمِ الصَّمتَ؛ فَفِيه سَلامتُك .. وأقِلَّ الكلامَ؛ فَفِيه نَدامتُك !!

ذَكَر الإمامُ ابن حِبَّان رحمه الله، بإسناده إلى الأحنَف بن قيس، قال:

(الصمتُ .. أمانٌ من تحريف اللفظ، وعِصمةٌ من زَيغ المَنطِق ،
وسلامةٌ من فضول القول، وهَيبةٌ لصاحبه).

= ثُم زاد ابنُ حبان قائلًا :

(الواجبُ على العاقل؛ أن يَلزم الصمتَ إلى أن يَلزمَه التَّكلُّم !!
فمَا أكثرَ مَن ندِم إذا نَطق .. وأقلَّ مَن يَندم إذا سَكت !!
وأطولُ الناس شقاءً، وأعظمُهم بلاءً ؛
مَن ابتُلي .. بلسانٍ مُطلَق، وفؤادٍ مُطبَق).

انظر: روضة العقلاء.

قلتُ :

ولَم يَرِد عن أحدٍ من العلماء؛ أنَّه صنَّف في فضل الكلام،
ولكن؛ ما أكثرَ ما صنَّفُوا في ذَمِّه !!
ويَرضى الله عن الإمام النوويّ، إذ يقول :
(اعْلم أنه ينبغي لكل مُكلّف؛ أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام؛
إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه !!
ومتى استوى الكلامُ وتركُه في المصلحة؛ فالسُّنة الإمساك عنه؛
لأنه قد يَنجرُّ الكلام المباح، إلى حرامٍ أو مكروه ،
بل هذا كثير أو غالب في العادة. والسلامة لا يَعدلها شيء).

انظر: الأذكار

قلتُ :

فإذا كان عند استواء الكلام وتَركه في المصلحة؛يكون تركه أولى؛
فكيف إذا كان في غير ذلك ؟!!
بل كيف إذا لَزِم السكوت، وتعيّن تركُ الكلام ؟!!

لا تُغفِل هذه بين يدي رمضان !!

قال ابن القيم رحمه الله:

(أعمال البِرّ .. يفعلها البَّر والفاجر !
ولا يقوى على ترك المعاصي .. إلا صِدِّيق).

انظر: طريق الهجرتين.

قلتُ :

فليكنْ سعيُك الأشدّ، وهمّك الأكبر ؛
ترك المعاصي، والإقلاع عن الذنوب، والتوبة من الإصرار والاستمرار ؛
فإن الطاعات؛ يُرزقُها كلُّ أحد، ويُحسنها ولو رياءً؛ حتى الفاجر !
فيا أيُّها المُفرّط – وكلّنا ذاك – :
سبّح بحمد ربّك واسْتغفِره .. إنّه كان توابًا !!

حاسِب نفسَك .. فالعُمر يمضي، والأجَل قريب !!

قال ابن الجوزيّ رحمه الله :

(كان توبة بن الصِّمة، محاسبًا لنفسه، فحسب فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها، فإذا هي :

إحدى وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم !!

فصرخ وقال: يا ويلتى ! ألقَى المليكَ بإحدى وعشرين ألف ذنب !!

كيف ؟! وفي كل يوم؛ عشرون ألف ذنب ؟!!

ثم خرَّ مَغشيًا عليه).

(وكان أبو بكر بن عياش يقول :

لو سقط من أحدكم درهم؛ لظلَّ يومَه يقول: إنَّا لله ذهبَ درهمي ! وهو يَذهب عُمره ولا يقول: ذهبَ عُمري).

انظر: صفة الصفوة.

قلتُ :

فتدبَّر أمرك .. وتفقَّد علانيتَك وسرَّك .. وحاسب نفسكَ على ما فات!

وانظر كيف تعمل فيما هو آت !!

فإنَّ الأيام تمُرّ .. والشهور تكُرّ .. والسّنون تفِرّ .. والعمُر يَمضي !

فواحسرتـاهُ على عُمرٍ قد انقضَى .. فيما لا يُطابق الرضا !!

واعْلم أن الراحة؛ لا تُنال بالراحة، ومعالي الأمور؛ لا تُنال بالفتور ،

ومن زرع حَصد، ومن جدَّ وجد !!

فطُوبى لمَن :

بادَر عُمره القصير؛ فعمَّر به دار المصير، وتهيأ لحساب الناقد البصير،

قبل فوات القُدرة، وإعراض النصير !!

تُبْ .. فلَستَ بأوحَد في هذا الطريق !!

قال الفيروزآبادي رحمه الله :

(لا تَنظر أنّك فريد فى طريق التَّوبة؛

فإِنَّ أَباك آدم كان مقدَّم التَّائبين: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾،

والكليم موسى لم يكن له،

لمّا عَلاَ على الطُّور تحفةٌ غير التَّوبة: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾.

ثمّ إِنَّه بشَّر النَّاس بالتَّمتع من الأَعمار،

واستحقاق فضل الرّءُوف الغفَّار: ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾ .

وأَشار صالح على قومه بالتَّوبة،

وبشَّرهم بالقُرْبة والإِجابة: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ .

وسيّد المرسلين مع الأَنصار والمهاجرين

سلكوا طريق الناس: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ﴾ .

والصّدّيق الأَكبر؛

اقتدى فى التَّوبة بسائر النَّبيّين: ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ... !

ومن توقَّف عن سلوك طريق الناس؛

وُسِمَ جبين حاله بميسم الخائبين: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾... !

الرّجال لا يُقعدهم على سرير السّرور إِلاَّ التَّوبة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ .

ولا يظنّ التوَّاب اختصاص النَّعت به... ؛

فهذا الوصف من جملة صفات العَلِيّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ .

وإذا وفَّقنا العبد للتَّوبة تارة،

قرنباه بالحكمة : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ .

وإذا قبلنا منه التَّوبة،

قرّبناه بالرّحمة: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ .

والمؤمن إذا تاب أَقبلنا عليه بالقبول،

وتكفَّلنا له بنيل المأْمول: ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ... !

ومن تاب، وقصد الباب،

حصل له الفرج بأَفضل الأَسباب: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ .

ومن أَثار غبار المعاصى، وأَتبعه برشاش النَّدم،

غلَّبت حكمتنا الطَّاعة على المعصية، وسُترت الزَّلّة بالرّحمة:

﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ﴾ ... !

وإذا أَردت التَّوبة،

فأَنا المريد لتوبتك قبلُ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾.

وإذا تبت بتوبتى عليك، وتوفيقى لك،

جازيتك بالمحبّة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ .

وإنا لا نقبل توبةَ مَن يؤخِّر توبتَه إِلى آخر الوقت:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾

وإنَّما يتقبّل توبة مَن تتَّصل توبتُه بزلَّته، وتقترن بمعصيته:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ .

لا تفرّ من التوبة؛ فإنها خير لك فى الدّارين:

﴿فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾... !

أيظنون أنا لا نقبل توبة المخلص من عبادنا:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّه هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ .

نحن نأْخذ بيد المذنب، ونقبل باللُّطف توبته:

﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾.

ولهذا قيل :

التَّوبة قَصّار المذنبين، وغسّال المجرمين، وقائد المحسنين، وعَطَّار المريدين، وأَنيس المشتاقين، وسائق إِلى ربّ العالمين).

انظر: بصائر ذوي التمييز.

أَلَم يأن لكَ أن تُحبّه ؟!!

قال القرطبيّ رحمه الله :

(قال أبو زيد: غلطتُ في أربعة أشياء، في الابتداء مع الله تعالى :

= ظننتُ أني أحبُّه .. فإذا هو أحبَّني ... ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ !!

= وظننتُ أني أرضى عنه .. فإذا هو قد رضي عني .؛ ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ !

= وظننت أني أذكره .. فإذا هو يذكرني ... ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾!!

= وظننت أني أتوب .. فإذا هو قد تاب عليّ ... ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾).

انظر: تفسير القرطبيّ.

قلتُ :

وعلى هذا .. مَدار إحسان الكبير جلَّ جلاله !!

فمَا من نعمةٍ بك؛ من صلاحٍ واستقامة وطاعةٍ وعبادة؛ إلا بهِ ومنه !!

فلا حول ولا قوّة إلا به .. ابتداءً وانتهاءً !!

فكيف لا يُحَبّ مَن هو كذلك ؟!!

بل كيف يُعصَى ويُحارَب ؟!!

فأرِه صِدَقك .. ليُقيمَك !!

وأحبِبْه حقًّا .. ليصطفيك !!

لا تَنتظر رمضانَ لتتوب .. واطلب توبتَك من الآن .. فإنها منه سبحانه،لا منك !!

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

فتأمَّل وتدبَّر !!

كيف أنه تعالى؛ تَدارك قلوبَهم حتى لم تَزغ، فأقبَل بقلوبهم عليه، ووهبَهم الإنابة إلى طاعته، والرجوع إلى ما يرضيه عنهم !

ثم هو يفرح بهم، ويزيدهم من فضله، ويتوب عليهم، ويغفر لهم، ويرحمهم !!

ولولا ذاك؛

ما كان ثَمَّ سبيلٌ إلى التوبة، وقد استولت عليهم النفس الأمارة !!

فانظر .. كيف فقرك إليه، مع غناه عنك !!

فتوبتك إلى ربك؛ محفوفةٌ بتوبة منه عليك قبلها، وتوبة منه عليك بعدها !!فتوبتك بين توبتين من الله؛ سابقة ولاحقة !

فإنه تاب عليك أولًا؛ إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا .. فتبُتَ إليه، فتاب عليك !

ثانيًا: قبولًا وإثابة .. فيتقبّلك ويُثيبك إحسانًا وتفضّلًا !!

فما تُبتَ على الحقيقة؛ حتى تاب عليك !!

وما هذا ؛ إلَّا لأنه كما قال عن نفسه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

فيُقبِل سبحانه بقلوب التائبين إليه، ويُوفقهم لِما يَدُلّ عليه !

فَيَخرّون للأذقان سُجَّدًا بين يديه، فما يَرفع أحدُهم رأسَه؛ إلَّا وقد تابَ عليه !

وهذه هي سُنّته تعالى مع أوليائه؛ إذا أشرفوا على العَطب ،

ووَطنوا أنفسَهم على الهلاك ؛

أمطرَ عليهم سحائبَ الجُود .. فأحيا قلوبَهم بعد إياسها !

منك أرجو ولستُ أعرف ربًّا *** يُرتجى منه بعضُ ما منك أرجو
وإذا اشتدَّت الشدائدُ في الأر *** ضِ على الخلقِ فاستغاثوا وعجُّوا
وابتليت العباد بالخوف والجو *** عِ وصرُّوا على الذنوب ولجُّوا
لم يكن لي سواك ربي ملاذٌ *** فتيقَّنت أنني بك أنجو

وفي الجملة :

فتوبة الله على العبد؛ هي أجلّ الغايات، وأعلى النهايات !!

فإن الله جعلها نهايةَ خواصّ عباده، وامتنَّ عليهم بها؛ لأنه يرضاها ويُحبّها !!

فاسْتَرضِه ليرضَى عنك ..

واستغفرهُ لِيغفر لك ..

وعُد إليه لِيتوبَ عليك !

﴿ومَن يَعمل سُوءًا أو يَظلم نفسَه ثم يَستغفر اللهَ يَجد اللهَ غفورًا رحيمًا﴾

بين يدي رمضان .. احذر التوبة المعلولة !!

قال ابن تيمية رحمه الله:

(**قال ابن المبارك – رحمه الله – :**

" المُصِرّ : هو الذي يشرب الخمر اليوم ثم لا يشربها إلى شهر – وفي رواية: إلى ثلاثين سنة –؛ ومن نيّته أنه إذا قدر على شُربها ؛ شَربها ".

وقد يكون مصرًا .. إذا عزم على الفعل في وقت دون وقت؛ كمن يعزم على ترك المعاصي في شهر رمضان دون غيره ؛

فليس هذا بتائب مطلقًا !!

ولكنه تارك للفعل في شهر رمضان، ويثاب إذا كان ذلك الترك لله، وتعظيم شعائر الله، واجتناب محارمه في ذلك الوقت !!

ولكنه .. ليس من التائبين الذين يُغفر لهم بالتوبة مغفرةً مطلقة !!

ولا هو مُصرّ مطلقًا).

انظر: مجموع الفتاوى.

قلتُ :

ومَدار كلام الإمامين رحمهما الله :

على أن الامتناع عن المعاصي إلى أجَل، والنيَّة مُبيَّتة للعَود إليه،متى انتهى هذا الأجَل ؛ فإنه يكون مُصرًّا على ذَنبه، لا تائبًا ولا صادقًا !!

والله قد وعد بالمغفرة والتوبة؛ **مَن لم يُصرّ، فقال :**

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾

فكذلك كلٌّ من يُرجىء توبتَه إلى رمضان، فيمتنع عن بعض ذُنوبه أو معاصيه ،

وفي نفسه؛ يُبيّت العَود إليها بعد رمضان :

فتوبَته مَعلولة، وأوبته مدخولة، ولا يستحقّ وعد الله؛ بالغُفران التامّ !!

وأسوأ ممَّن هذه حاله :

من يمتنع عن معاصيه في نهار رمضان، ويَعزم على إتيانها بعد إفطاره !!

فاللهَ اللهَ .. في توبةٍ صادقةٍ من الآن !!

لا تنتظر بها رمضان ولا غيره، ولا تُؤجّل لها أجلًا، ولا تَفرض لها زمنًا !!

فالتوبةُ رزقٌ .. والأرزاقُ بيَد من في السماء !!

هكذا كان سَلفُك .. فكيف أنت ؟!!

قال النيسابوري رحمه الله :

(وكانت الطُرقاتُ في أيام السَّلف، وقت السَّحَر، وبعد الفجر ؛ غاصَّةً بالمُبكِّرين إلى الجمعة؛ يَمشون بالسُّرُج – المصابيح –).

انظر: تفسير النيسابوري.

قلتُ :

يَرضى اللهُ عن سَلفِنا .. كيف لو رأَوا اليومَ حالَنا ؟!!

خَالفْنا سبيلَهم في التزكية والعمل ..

وغلبَ علينا التقصيرُ والزَّلل ..

وظهر منَّا الفُحْشُ والخَلل ..

ثم ندَّعي النِّسبةَ إليهم ولاخَجَل !!

خُذها بقوَّة .. وعضّ عليها ما حَييت !!

يُنسَب إلى الإمام مالك رحمه الله، قوله :

(ما كان لله .. بَقِي).

قلتُ :

وقد كانت هذه .. منهج نبيّك وقِبلته – صلَّى الله عليه وسلَّم – !!

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ... ﴾.

فاستَعن بالله، واجْعَل عملَك وقولَك، وكلّ ما صدرَ عنك؛ لله لا غير !!

فهذا هو الباقي .. وكلّ ما عداه يَفنَى، بل كأنه لم يَكن !!

قال ابن تيمية رحمه الله :

(فما لم يكن بالله .. لا يكون، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله !

وما لم يكن لله .. فلا ينفع ولا يدوم).

انظر: التدمرية.

استعدّ لرمضان، واقبل هدية الله .. وإلّا كرِه انبعاثَك، وثبَّطك، وأقعَدك !!

قال ابن القيّم رحمه الله :

(حَذارِ حذار ... من التهاون بالأمر إذا حضَر وقتُه !!

فإنك إن تهاونتَ به؛ ثبَّطك الله، وأقعدك عن مَراضيه وأوامره؛ عقوبةً لك !!

قال تعالى:

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾.

وقد بيَّن سبحانه حكمتَه، في هذا التثبيط والخذلان، قبل وبعد، فقال :

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾

= فلمَّا...لم يريدوا الخروجَ في طاعة الله،ولم يَستعدوا لها،ولا أخذوا أهبةَ ذلك ؛ كرِه سبحانه انبعاثَ مَن هذا شأنه !!

= فإن مَن لم...يقبل هديتَه، التي أهداها إليه، على يد أحبّ خلقه إليه ، وأكرمهم عليه، ولم يعرف قدْر هذه النعمة ولا شكرها، بل بدَّلها كفرًا ؛ فإن طاعة هذا...يكرهها الله سبحانه، فثبَّطه...وأوحى إلى قلبه قدرًا وكونًا ؛ أن يَقعد مع القاعدين).

انظر: بدائع الفوائد، وشفاء العليل.

فاحْذر واستعدّ !!

(يا مَن فرط في الأوقات الشريفة، وضيَّعها، وأودَعها الأعمالَ السيئة ، وبئس ما استودَعها !!

مضَى رجب وما أحسنتَ فيه *** وهذا شهرُ شعبان المُباركْ

فيا مَن ضيع الأوقات جهلًا *** بحُرمتها أفِق واحذَر بَواركْ

فسوف تُفارق اللذات قسرًا *** ويُخلي الموتُ كرهًا منك دَاركْ

تَدارك ما استطعتَ من الخطايا *** بتوبة مُخلص واجعل مَداركْ

على طلب السلامة من جحيمٍ *** فخيرُ ذوي الجرائم مَن تَداركْ).

ابن رجب رحمه الله، في لطائف المعارف.

إن لم تَجد إلَّا أن، تلْزَم الحقّ بقلبك ولا تزِغ؛ فافعل .. فذاك نصرٌ لا هزيمة !!

عن ابن أبي أسامة قال :

(حُكي لنا أن أحمد بن حنبل،

قيل له أيام المِحنة : يا أبا عبد الله !!

أوَ لا ترى الحقَّ؛ كيف ظَهر عليه الباطلُ ؟!!

قال: كلا !!

إن ظهور الباطل على الحق؛ أن تَنتقل القلوبُ من الهُدى إلى الضلالة !!

وقلوبُنا بعدُ ؛ لازمةٌ للحق).

ذكَره الذَّهبي رحمه الله، في سِيَر أعلام النبلاء.

فاللهمَّ ثبِّت قلوبنَا على الحقِّ، حتى نلقاك عليه !!

واهدِنا لمَا اختُلِف فيه بإذنك !!

ادعُ اللهَ وأنت مُوقِنٌ بالإجابة .. فإن الربَّ كريم، وهو عند ظنّك به !!

ثبت عن نبينا عليه السلام، قوله :

(إذا دعا أحدُكم ... ؛

ليَعزم المسألة، وليُعظِّم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمُه شيء).

قال الإمام ابن حجر رحمه الله :

(قال ابن بطال :

ينبغي للداعي، أن يجتهد في الدعاء، ويكون على رجاء الإجابة ،

ولا يقنط من الرحمة .. فإنه يدعو كريمًا ... !!

وقد قال ابن عُيينة :

لا يمنعَن أحدًا الدعاء، ما يعلم في نفسه – يعني من التقصير – ؛

فإن الله قد أجاب دعاء شرِّ خلقه، وهو إبليس، حين قال :

﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾).

انظر: فتح الباري.

احمَد اللهَ على منَّة الإسلام، ووفِّ اللهَ شكرها !!

من تكريم الله للإنسان في الشريعة الإسلامية .. أنه خُلق مُبرءًا من إثم الخطيئة ولعنتها، غير مُحمَّلٍ بجرائم الآخرين وخطاياهم، فهو يبدأ تعامله مع الله دون ماضٍ يُثقل كاهله، أو يشلُّ قُواه،

كما قال تعالى : ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

أما اليهودية .. فتتحدث عن تحمل آدم وزوجه حواء؛ للعنة الخطيئة بسبب معصيتهما لله، وأكلهما من الشجرة المُحرمة، بل إنها تقول بلعنة الأرض نفسها بسبب خطيئتهما، كما جاء في " سفر التكوين " .

ثم تتحدث التوراة بعد ذلك، عن وراثة ذنوب الآباء لأولادهم وأحفادهم، كما جاء في سفر الخروج :

" أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء، من الجيل الثالث والرابع من مُبغِضيَّ " .

وأما المسيحية " النصرانية " .. فإن فكرة وراثة الخطيئة تُعد من خصائصها، منذ أضيفت إلى عقائدها على يد " بولس "، ولذلك كان صلب المسيح فيما يعتقدون؛ فداءً للبشرية من إثم الخطيئة، الذي ورثته الإنسانية عن آدم .

ومن شاء فليراجع رسائل " بولس " إلى " تيموثاوس " .

أما شريعة الإسلام .. فقد خالف القرآن تلك العقيدة الباطلة، وقرَّر أن معصية آدم كانت معصية شخصية، تتعلق به وحده، دون أن ترث الإنسانية عنه إثم هذه الخطيئة، أو تتحمل عنه إصرها .

لذا تاب الله بعد ذلك، على آدم نفسه، وهداه إلى التوبة :

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾.

ثم بعد هذه التوبة والأوْبة .. وإذا بذُرية آدم عليه السلام، والتى تُمثل الإنسانية من بعده؛ تتعامل مع الله بصفحةٍ بيضاء، مُتحررة من هذه المعصية، فيتحمل كل إنسان، تَبعة عمله فقط من خيرٍ أو شر :

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ،

ثم هناك وُعود المغفرة والرحمات التى لاتنقطع :

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.

وهذا الذي يتفق مع العدالة المُطلقة، التى تقوم عليها أخلاق الإسلام .

فالحمدُ لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة !!

أصلِح سَريرَتك .. فالمُعوَّل على ما بطَن ، لا ما ظهَر !!

قال ابن الجوزي رحمه الله :

(واللهِ .. لقد رأيتُ مَن يُكثر الصلاةَ، والصومَ، والصَّمت ،
ويتخشَّع في نفسِه ولباسِه .. ؛
والقلوبُ تَنبُو عنه – تَنْفِر – ، وقدْره في النفوس ليس بذاك !!
ورأيتُ مَن يلبَس فاخرَ الثياب، وليس له كبيرُ نَفْلٍ، ولا تَخشُّع .. ؛
والقلوبُ تتهافَت على محبته !!
فتدبرتُ السبب ، فوجدتُه السَّريرة ... !!
فمَن أصلَح سَريرَته .. فاحَ عبيرُ فضلِه، وعَبقت القلوبُ بنشْرِ طيبه !!
فاللهَ اللهَ في السرائر .. فإنَّه ما ينفعُ مع فسادِها صلاحُ ظاهر).

انظر: صيد الخاطر.

قلتُ :

فأصلِح سرائرَك، ونَقّ خواطرَك !!
وهذّب ما علَق بقلبِك .. فإنه موطن النظر من ربِّك !!
ودَعْك من ضغائن البشَر .. تغنَم حُبّ الله والنّاس !!
فليس الأمرُ بما ظهرَ من العمَل .. وإنما بمَا وقَر من نقاءٍ ووجَل !!
فاللهمَّ أصلِح ما فسَد ، وطهِّر ما خَبُث ، واغفِر ما كان، يا ذا الجلال والإكرام !

اجْهر بالحقّ .. ولا تَخشَ في الله لَومةَ لائم !!

قال العلَّامة أحمد شاكر رحمه الله :

(فما عَبأتُ يومًا ما ؛ بما يُقال عَنّي .. ولكنِّي قلتُ ما يجبُ أن أقول).

انظر: كلمة الحق.

واحْذر أُخيَّ أن تَكرَه الحقَّ وأهلَه، ويَحملُك على ذلك؛ إيثارُ هَوى، أو رغبةٌ في انتقام، فتَهلِك وتكون من الخاسرين :

قال الإمام الأوزاعيُّ رحمه الله :

(مَن كَرِه الحقَّ ؛ فقد كَره الله .. إن الله هو الحقُّ المُبين).

ذكره عنه الغزالي في الإحياء.

فقدِّم الحقَّ على هواك .. تَغْنَم دنياكَ وأخراك !

وإلَّا .. ضاقَت عليك الأرضُ بما رَحُبَت :

ومَن لم يَثِق بالله لَم يَصْفَ عَيشُه *** ومَن ضاقَ عنه الحقُّ ضاقَتْ مَذاهبُه

منسوب لأبي العتاهية.

فاللهمَّ اجعلنا من أهل الحقّ وحِزبه، وأكرمنا بعُلوّه ورفْع لوائِه ، واهْدنا لمَا اختُلف فيه بإذنك .

بالتوحيد والاستغفار .. تُمحَى ذنوبُك الصِّغار والكِبار !!

قال ابن تيمية رحمه الله :

(فشهادة أن لا إله إلا الله، بصدقٍ ويقين :

تُذهب الشركَ كلَّه، دِقَّهُ وجُلَّه، خطَأهُ وعمْدَه، أوَّلَه وآخِره، سِرَّهُ وعَلانيتَه !!

وتأتي على جميعِ صفاتِه وخفاياه ودقائقِه !!

والاستغفار :

يمحُو ما بَقِي مِن عثَراتِه، ويمحو الذنبَ الذي هو مِن شُعب الشرك .. !!

فإن الذنوبَ كلها مِن شُعب الشرك !!

فالتوحيدُ .. يُذهب أصلَ الشرك ،

والاستغفارُ .. يمْحو فروعَه).

انظر: مجموع الفتاوى.

قلتُ :

فاحفظ هذه .. حفظك الذي في السماء :

التوحيد .. يَمحو أصولَ الشرك، **والاستغفار** .. يَمحو فروعَه – أي المعاصي –!!

فصَحّح عقيدتَك، ونقّها من شوائبِها، ليصفو لك توحيدُك، ولا تُغفِل الاستغفار!

فبتحقيق التوحيد، ولزوم الاستغفار .. تُمحَى ذنوبُك؛ الصغارُ والكِبار !!

وهاهنا النجاةُ لا غير .. قد عرَفتَ فالْزَم .

تواضَع وانكسِر .. فالجنَّة أقرب إلى الأنقياء الأخفياء !!

قال ابنُ رجب الحنبلي رحمه الله :

(وكان كثيرٌ من الصَّالِحين، يشترطُ على أصحابه في السفر؛ أنْ يخدُمَهم !! وصَحب رجلٌ قومًا في الجهاد ، فاشترط عليهم أنْ يخدُمَهم !!

فكان إذا أرادَ أحدٌ منهم، أنْ يغسل رأسَه أو ثوبه ؛

قال هذا مِن شَرطي ، فيفعله !!

فمات .. فجرَّدوهُ للغسل ، فرأَوا على يده مكتوبًا :

من أهل الجنَّة !!

فنظروا ، فإذا هي كتابةٌ بين الجلد واللحم).

انظر: جامع العلوم والحِكم.

قلتُ :

وصدق نبينا عليه السلام، إذ يقول – كما في البخاري – :

(طُوبى لعبدٍ؛ آخِذٍ بعَنان فَرسه فى سبيل الله ، أشعثَ رأسُه، مُغبرةٍ قدماه،

إن كان فى الحراسة؛ كان فى الحراسة !!

وإن كان فى الساقة؛ كان فى السَّاقة).

فدَع رياءَك وعُجبك .. وغرورَك وكِبرك !!

ولا يغرنَّك ثناءٌ أو مَحمدة .. أو شهرةٌ أو مَنقبة !!

فكَم من معروفٍ بين الناس .. مجهول عند الله، وعكسًا بعكس !

فذلّ نفسَك لخالقها، واخفض جناحَك للمؤمنين !

فإن الجنة أقرب إلى الأخفياء .. والله عند المُنكسرة قلوبهم .

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ؟!! .. أرجى آية في كتاب الله !!

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾!!

قالت عائشة رضي الله عنها :

(لما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ،

وكان يُنفق على مِسطح بن أثاثة، لقرابته منه، وفقره :

والله لا أنفق على مِسطح شيئًا أبدًا، بعد الذي قال لعائشة ماقال .

– وكان مِسطح ممَّن خاض في حادثة الإفك – !!

فأنزل الله :

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.!!

قال أبو بكر : بلى والله إني أحبُّ أن يَغفر الله لي !!

فرجع إلى مِسطح، النفقة التي كان يُنفق عليه، وقال :

والله لاأنزعها منه أبدًا). متفق عليه.

وزاد مسلم في روايته : (قال حبّان بن موسى: قال عبدالله بن المبارك : هذه أرجى آية في كتاب الله).

قلتُ :

فاعفُ متى قَدرتَ !!

واغفر متى استُرحمتَ !!

واصفَح متى طُلب منك !!

ما وجدتَ إلى ذلك سبيلًا !!

وتعزَّ وتسلَّ بما واساك به الغفور الرحيم :

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾؟!!

فِيمَ حُزنُك .. واللهُ يُدبِّر لك ؟!!

قال ابن الجوزي رحمه الله :

(وفي الجملة .. تدبيرُ الحقِّ عزَّ وجلَّ لك؛ خيرٌ من تدبيرك !

وقد يَمنعُك ما تَهوى .. ابتلاءً، ليبلُوَ صبرَك !

فأرِه الصبرَ الجميل .. ترَى عن قربٍ ما يَسُرّ !!

ومتى نظَّفتَ طُرقَ الإجابة، عن أدران الذنوب، وصبَرت على ما يَقضيه لك ؛

فكلُّ ما يَجري؛ أصلحُ لك، عطاءً كان أو منعًا).

انظر: صيد الخاطر.

اعْلُ بهِمَّتك .. وكُن جوادًا لا كريمًا !!

قال عبيد الله بن عباس لأخيه :

(إن أفضل العطيَّة؛ ما أعطيتَ الرجلَ قبل المسألة !

فإذا سألَك؛ فإنما تُعطيه ثَمن وجهِه، حين بذَلَه إليك).

انظر: قضاء الجوائح.

قلتُ :

وهذا أكمل الأحوال، في البذل والتطوّع والنَّفقة !

أن تكون معطاءً مُنفقًا، بغير سؤال؛ فذاك الجُود !

ولا تردَّ سائلًا بغير عطاء؛ فذاك الكرَم !

وهكذا فرَّق العلماءُ بينهما – على خلاف – !!

لذا وُصف نبينا عليه السلام؛ بأكمل الحالَين – كما ثبت عن ابن عباس – قال :

(وكان أجود ما يكون؛ في رمضان ...

فلرَسول الله أجود بالخير؛ من الرِّيح المُرسلَة).

أنت أدرى بنفسِك؛ ما يُصلحُها ، وما يُسعدها ، وما يُداوِيها !!

قال ابن القيّم – مُتحدِّثًا عن شَيخِه ابن تيمية – رحمهما الله :

(وحدّثني شيخنُا قال :

ابتدأني مرضٌ، فقال لي الطبيبُ :

إن مُطالعتك وكلامَك في العلم، يزيد المرض !!

فقلتُ له: لا أصبر على ذلك .. وأنا أحاكمك إلى عِلمك ؛

أليست النفسُ إذا فرحَت وسُرَّت؛ قَويت الطبيعةُ، فدَفعَت المرض ؟!!

فقال: بلى !!

فقلتُ له: فإن نفسي تُسرُّ بالعلم، فتَقوى به الطبيعةُ، فأجد راحة !!

فقال: هذا خارجٌ عن علاجنا).

انظر: روضة المُحبين.

قلتُ :

فاحْرص على ما ترى فيه نفسَك، وما تجد فيه سعادتَك ؛

من لذات الطاعة والتعبّد، ومباحات الدنيا وطيّباتها ؛

فهذا نَعيم النفس، وجنَّتُها الحاضرة، وشفاء عِيّها، ودواء دائِها !!

وليس كلُّ ما يُوصَف لغيرك .. يَصحّ لك !

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ .

اشتَغِلْ بِهِ واحْفَظْه .. يَكفِك ويَحفَظك !!

قال ابن القيّم رحمه الله :

(ليس للعابد مُستراح؛ إلَّا تحت شجرة طُوبى ،

ولا للمُحبّ قرار؛ إلَّا يوم المزيد ،

فاشتغِل به في الحياة .. يَكفِك ما بعد الموت !

تاللهِ ما عَدا عليك العدوّ، إلَّا بعد أن تولَّى عنك الوليّ !!

فلا تظنّ أن الشيطان غلَب .. ولكنَّ الحافظَ أعرَض).

انظر: الفوائد .

ابتلاؤُه سبحانه لك ، على قدْر محبَّته إياك .. ففيمَ جَزَعُك وسَخطُك ؟!!

قال ابن القيّم رحمه الله :

(المَحبة كلّما تمَكّنت في القلب، ورَسخت فيه ؛

كان أذى المُحِبِّ في رضا مَحبوبه؛ مُستحلًى غير مَسخوط !!

والمُحبّون يَفتخرون عند أحبابهم بذلك، حتى قال قائلهم :

لِئن سَاءني أن نِلْتَني بمَساءةٍ *** لقد سرَّني أني خطرتُ ببَالِكَ

فما الظنُّ بمحبة المَحبوب الأعلى ؟!!

الذي ابتلاؤه لحبيبِه؛ رحمةٌ منه له .. وإحسانٌ إليه).

انظر: إغاثة اللهفان.

قلتُ :

فمتَى ابتلاكَ ؛ فليس دومًا يَبتلِي ليُعذِّب .. ولكن يَصطَفي ويُهذِّب !!

ولمَّا كان ابتلاؤهُ واصطفاؤهُ ، على قدْر مَحبتِه خَلْقَه ؛

صار أشدّ الناس بلاءً .. الأنبياء، ثم الأمثَل فالأمثَل !!

فلمَّا فَطن النبيُّون والصالحون لذلك، وأيقنوا بما وراء حجاب البلاء من إكرام ؛

استعَذَبوا البلاء في سبيل الله، وصار عندهم؛ فرحًا كلّه ورضا !!

حتى صاروا أفرحَ بالبلاء .. من فرح أحدِنا بالنّعماء !!

لذا قالت تلك الصالحةُ، عندما قُطعَت أصبعُها :

حلاوةُ أجْرِها .. أنستْنِي مُرَّ قطعِها !

فاسْتَعْذِب بلاءَك في سبيل الله .. يذهب ألمُه ، وتبقى لذَّتُه وأجرُه !!

وتقَّرب إليه حتَّى يُحبّك .. فمتَى أحبَّك؛ أكرمَك واصطفاك، وأغناكَ وكفَاك ؛

فلا ترَى الوجود إلَّا برضاه، ولا يَحزنك بلاءٌ؛ مادامَت تَقواه !

فاللهُ لا يُعذِّب مَن أحبَّه !!

بِرُّوا أبناءكم بصلاحِكم واستقامتكم .. حريٌّ أن يَصلحوا ويُحفظوا ويَبرّوكم !!

قال ابن رجب الحنبليّ رحمه الله:

(وقد يَحفظ اللهُ العبدَ بصلاحِه، بعد موتِه في ذريته ؛

كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ :

أنهما حُفظا بصلاح أبيهما !!

قال سعيد بن المسيّب لابنه :

لأزيدنَّ في صلاتي من أجلك، رجاء أن أُحفظ فيك، ثم تلا هذه الآية :

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾

وقال عمر بن عبد العزيز :

ما من مؤمنٍ يموت؛ إلَّا حفَظه اللهُ في عقبِه وعَقب عقبه !!

وقال ابن المنكدر :

إن الله ليحفظ بالرجل الصالح؛ ولدَه وولدَ ولدِه، والدويرات التي حولَه ،

فما يزالون في حفظٍ من الله وستر).

انظر: جامع العلوم والحِكم.

قلتُ :

وهكذا حُكم الله العدْل، فمَن جاء بالحسنة؛ فلَه خيرٌ منها !!

فمَن حفِظ اللهَ في نفسِه واستقام؛ حفِظه اللهُ في أهلِه ومالِه وولدِه !

واستقام له بَنوهُ، وبرُّوه، وحَفظوه، وصاروا له قُرَّةَ عينٍ دنياه وأخراه !!

والعكس بالعكس !!

والجزاء من جنس العمل .. ولا يَظلم ربُّك أحدًا !!

ومتى اختلَفَت هذه العادةُ، وتلك الجادَّة ؛

فهو مَحض اختيار الله وقدَرِه !

أبشِر أيها المظلوم .. واحْذَر أيها الظالم !!

رَوَى مسلمٌ في صحيحِه، عن عروة بن الزبير :

(أن " أرْوى بنت أويس"، ادَّعَت على "سعيد بن زيد" :

أنه أخذ شيئًا من أرضها، فخاصَمته إلى "مروان بن الحكم" !

فقال سعيد :

أنا كنتُ آخذ من أرضها شيئًا، بعد الذى سمعتُ من رسول الله ؟!!

قال: وما سمعتَ من رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ؟!

قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول :

« مَن أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا ؛ طُوِّقَه إلى سبع أرضين »

فقال له مروان: لا أسألك بينةً بعد هذا .

فقال سعيد : اللهم إن كانت كاذبةً؛ فأعْمِ بصرَها، واقتلها فى أرضها !!

قال: فما ماتَت حتى ذهب بصرُها !!

وفي رواية، قال:

فرأيتها عمياء تلتمس الجُدر، تقول: أصابتنى دعوةُ سعيد بن زيد !

ثم بيْنا هى تمشِي فى أرضها ؛

إذ وقعَت فى حفرةٍ فماتَت – فكانَت قبرَها –).

قلتُ :

فلإن كانت هذه دعوة مظلوم، استُجيبَت في ترابٍ من الأرض،لا قَدْر ولا قيمة؛

فكيف بدعواتٍ في الأسحار.. بل آناء الليل، وأطراف النهار ؛

قد اختضبَت بدموعٍ، وأحزانٍ، وآهات ؛

من أمَّهاتٍ، وأطفالٍ، ونساءٍ، وشيوخٍ؛ على مَن حرَمهم؛مِن أهلِيهم وذَويِهم؟!!

بل كيف بدعوات الصالحين والربَّانيين ؛

على من ظلَمهم في دينهم، وبَغى على شَرع ربِّهم وإسلامهم ؟!!

فأبشِر أيها المظلوم بإجابتك، وكشف كُربتك !

ومتَى أخَّرها الكبيرُ المُتعال؛ فلِحكمةٍ وإمهال .. لا لِنسيانٍ وإهمال !!

وأيها الظالم المتكبّر ؛

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

مواساةُ الرحمن .. لأهل الإيمان !!

قال ابن القيّم رحمه الله :

(إن الله سبحانه، إذا أراد أن يُهلك أعداءَه، ويَمحَقهم ؛
قيّض لهم الأسبابَ، التي يَستوجبون بها هلاكَهم ومَحقهم !
ومِن أعظمها بعد كُفرهم ؛
بَغيُهم وطغيانُهم، ومبالغتُهم في أذى أوليائه، ومحاربتِهم وقتالِهم ،
والتسلّط عليهم !
فيتمحَّص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب مَحقهم وهلاكِهم !

وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في قوله :

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾... !

فما بالكُم .. تَهنون وتَضعفون عند القرح والألم ؟!!
فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان !
وأنتم أُصِبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي).

انظر: زاد المعاد .

قلتُ :

وهذه سُنة الله تعالى ؛

منذ قامت الدنيا .. إلى أن تُطوى الأرض، ويُعيدها كما بَدأها !!

فهُما مرحلتان لهلاك الطُّغاة، ثم يكون أخْذ القويّ المتين!

كما أشار إلى ذلك في قوله:

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

فكُونوا أهلًا لنَصرِه ؛ يتنزَّل عليكم من السماء لتوّه !!

أحْيِ موات قلبك .. ولا تيأس من رَوح الله !!

في مُعاتبة الله تعالى للمؤمنين :

﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾

فبَعد أن عاتَبَهم على صدأ القلوب، وعدم خشوعها وانكسارها ولِينها ،

وما آل إليه حالُها؛ من القسوة والجمود والصلابة والمَوت .. ؛

قال بعدها مُبشِّرًا :

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾!

وقد تساءَل غيرُ واحدٍ من السلف والمُفسّرين :

عن النُكتة والمُناسبة؛ في إتيانه تعالى بالحديث عن الأرض المَيتة وإحيائها ؛

بعد ذِكر القلوب وقسوتها وعدم حياتها ؟!!

فقال غيرُ واحدٍ من المُفسّرين :

إن في هذا أعظم بشارةٍ، لكلّ من قسا قلبُه ومات؛ بأن حياتَه مُمكِنةٌ قابِلة !

وكأن الله أراد أن يقول :

يا مَن قسَت قلوبُكم بعد لِينها، وماتَت بعد حياتها ؛

اعلموا أن الذي أحيا الأرضَ بعد موتها ؛

قادرٌ أن يُحيي قلوبَكم المَيتةَ كذلك !!

فاللَّهم أحْيِ قلوبنَا ، وجدّد الإيمانَ فيها، ولا تحرمنا رضاكَ وتقواك !!

مع بداية رجب والأشهر الحُرم :

تعاهَد إيمانَك وقلبَك ، واستنشِق عبيرَ رمضان !!

جمهور المُفسِّرين؛ على أن يعقوب عليه السلام، لم يرَ يوسف؛ ٨٠ عامًا !!
وهناك روايات أخرى كثيرة؛ في تقدير هذه الفترة !
ومع ذلك؛ لم ينطفأ شوقُه لحظة، لرؤية ولدِه، وفلذة كبِده !
وكان كلَّما انتفض داعي الشوق في قلبه ؛
لا يملك إلَّا " يا أسفَى على يوسف "!
حتى حصل ما قصَّه الله علينا في كتابه، مما كان من أمر اجتماعِه بإخوتِه ، وعرَفهم وعرَفوه، فأرسل قميصَه معهم إلى أبيه !
فما أن فصلَت العِيرُ – وخرجَت من مصر – ، ومعها قميص يوسف ؛
حتى استنشق أبوهُم – وهو في فلسطين – ؛ ريحَ يوسف !!
﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ﴾
ذكر الطبريُّ رحمه الله بإسناده، إلى ابن إسحاق قال :
(لما فصلَت العيرُ من مصر؛ استروَح يعقوبُ ريحَ يوسف، فقال لمَن عنده مِن ولده: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾
هكذا يَفعل الشوقُ الصادق؛ بقلبِ صاحبِه، ولا تزيده الأيامُ والليالي ؛
إلَّا شوقًا وتحرّقًا !!
حتَّى إذا قرُب اللقاء؛ هبَّت ريحُ الغائب المفقود، فارتدَّ يعقوب الحزن مسرورًا !
وها نحن على مشارف أيام المغفرة والرَّحمات، وقرب رمضان العِتق والجنات؛
فهل شمَّت قلوبُنا ريحَ العفو والغفران ؟!!
وهل اشتاقَت النفوس والأرواح؛ إلى مواسم العبادة، والعِتق من النيران ؟!!
جدِّد إيمانك .. وتعاهَد قلبَك .. وتُب إلى الله توبةً نَصوحًا !!
وعظّم حُرمةَ الله في الأشهر الحرام !!

وماذا عليك .. لو أنَّك تمنَّيتَ للناس الخير ؛ وإن لم تُصِب منه ؟!!

ذكر ابن حجر رحمه الله :

بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال :

(إني لأسمع بالحاكم من حكّام المسلمين، يَعدل في حُكمه؛ فأحبُّه ،

ولعلّي لا أقاضي إليه أبدًا !!

وإني لأسمع بالغيث يُصيب البلاد، من بلدان المسلمين؛ فأفرحُ به ،

وما لي بها سائمةٌ ولا راعية !!

وإني لآتي على آيةٍ من كتاب اللَّه تعالى، فوددتُ أن المسلمين كلَّهم

يَعلمون منها مثلَ ما أعلم).

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة.

قلتُ :

رضي الله عنك وأرضاك .. يا حَبر هذه الأمَّة، وترجمان القرآن !!

وهل يُطيقها إلَّا مثلك ، ومن بلغ من كتاب الله، واتباع رسولِه؛ ما بلغتَ ؟!!

وهكذا فلْيَكن أهل القرآن والسُّنة ؛

أذِلَّة على المؤمنين .. رُحماء بالمسلمين .. !!

يَفرحون لفرَحهم، ويحزنون لألمِهم، ويتضرعون لنجاتهم !!

يتمنَّى أحدُهم ؛

أن لو عبرَ الناسُ إلى مراضِي الله، ووجهُه مُغبرًّا بتراب نعالِهم !!

لا يَحسدون، ولا يَحقدون، ولا يَظلمون !!

بل يَتمنَّون للناس الخير .. وإن لَم يُصيبوا منه !

ذَبحوا " أنا " .. ونَحروا " عندي " .. وقتلوا " لِي " !!

وأحيَوا: (مثَل المؤمنين في توادِّهم وتراَحمهم وتعَاطفهم؛ كمَثل الجسد)

﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

احذر ثلاثًا ماحَيِيت !!

ذكر ابنُ مُفلِح الحنبلي رحمه الله :

(عن ميمون بن مهران قال :

ثلاثة لا تَبلونَّ نفسَك بها :

لا تدخلنَّ على ذي سلطانٍ ؛ وإن قلتَ : آمرُه بطاعة الله .. !

ولا تَخلونَّ بامرأةٍ ؛ وإن قلتَ : أعلِّمُها كتابَ الله .. !

ولا تُصغينَّ بسمْعك لذِي هَوى ؛ فإنك لا تدري ما يَعلقُ بقلبك منه).

انظر: الآداب الشرعية.

قلتُ :

والنَّهي عن ثلاثتها ؛

يَحوم حول سدّ الذرائع، وتجفيف منابع الفتنة في مَهدها !!

فإنها إذا تمكَّنَت من صاحبها ؛

استَعصَت عليه، واستحكمَ شرّها، وجرَّت على دينِه ودنياه؛ وَيلاتٍ لا تَنتهي!

ومَن قارَب أسبابَ الفتنة .. بَعدت عنه السلامة !!

ففِرّ منها فرارك من الأسد !

وانسلِخ مما واقَعتَ منها، وانتفِض عنها؛ انتفاض العصفور من الماء ؛

تنعَم .. وتَغنَم .. وتَسلَم ، وإلَّا فسوف تَندَم .

ثِق في الله .. ولا تُبالِ !!

قال ابن الجوزيّ رحمه الله :

(وقد ذهب يوسفُ بن يعقوب عليه السلام ؛
فبَكى يعقوبُ ثمانين سنة !!
ثم لم ييأس ؛
فلما ذهب ابنُه الآخر ؛

قال : ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾).

انظر: صيد الخاطر.

قلتُ :

فيَا للَّه !!
يا لَها من ثقةٍ في الله، ويقينٍ في قُدرتِه؛ تخَطَّت كلَّ بلاءٍ ومُصاب !!
وهكذا المؤمن يجب أن يكون !!
فكلَّما قوِي إيمانُه، وازداد بلاؤه ؛ لم يَزِدْهُ ذلك من ربّه ؛ إلَّا قربًا وطمعًا !!
فأحسِنوا الظنّ في الله ربِّكم ،
وقَوّوا ثقتَكم فيه،
ولا تيأسُوا .. ولا تَقنطوا ؛ مهما عظُم البلاء ، واستطال زمانُه ؛
فإنَّ اللهَ الكبير اللطيف .. لا يَتعاظمُه شيء !!

وقَد خابَ مَن دسَّاها !!

قال تاج الدين السُّبكيّ رحمه الله :

(وقال القفَّال فى فتاويه :

كان الرَّبيع بَطئ الفهم، فكرَّر الشافعيُّ عليه مسألةً واحدةً؛ أربعين مرة !!

فلم يَفهم، وقام من المجلس حياءً !!

فدعاه الشافعيُّ فى خَلوة، وكرَّر عليه؛ حتى فَهِم).

انظر: طبقات الشافعية الكبرى.

قلتُ :

والرَّبيع هذا .. هو ابن سليمان المرادي، العالم الحُجَّة، الذي صار فيما بعد :

صاحب الشافعي، وراوية كتُبه، الثقة الثَّبت فيما يَرويه !!

وكان الشافعي يُحبّه،

حتَّى قال له يومًا : ما أحبَّك إليَّ !!

وقال له يومًا : يا ربيع لو أمكنني أن أطعمك العلمَ لأطعمتك !!

بل قال له: أعلَم أنك لو شَتمتني؛ لم تُرد إلَّا الخير !!

فلا تيأسَنَّ من نفسك، وإن جرَى منها من البلادة، والانغلاق؛ ما جرَى !!

ولا تيأسنَّ من غيرك – طالب، أخٌ لك، ولدُك ... – ؛

فقد يكون وراءه؛ فتحٌ للإسلام وأهلِه، وأنت لا تدري !!

ومَن أدامَ طرْقَ الباب ؛ أوشك أن يُفتَح له !!

والفتحُ ؛ صبرُ ساعة !!

هكذا المؤمن في الدنيا !!

قال ابن الجوزي رحمه الله :

(لا ينبغي للمُستعمَل في الطين – الفلَّاح – ؛ أن يلبس نظيفَ الثياب !!
بل ينبغي أن يُصابر ساعات العمل !!
فإذا فرغ ؛ تنظَّف، ولبس أجودَ ثيابه !!
فمَن ترفَّه وقت العمل ؛ ندم وقت تفريق الأجْرة).

انظر: صيد الخاطر.

قلتُ :

وهكذا المؤمن في الدنيا يَعيش !!
يُعاني بلاءها وأتراحَها وأحزانَها وآلامَها !!
ثم يَذهبُ هذا كلُّه، مع أوَّل غمسةٍ ، في جنات ونهَر ؛
﴿وقالوا الحمدُ لله الذى أذهبَ عنَّا الحزَن﴾ !!
فاصبرْ على بلاء الدنيا وتدنيسها .. فغدًا تُطيَّب في جنات النعيم !!
واعمل فيها بجِدٍّ ولا تَكسَل .. وإلَّا ندمتَ وكنتَ من الخاسرين !!

لا تَحزن .. فالفَرجُ آتٍ ، وكلُّ آتٍ قريب !!

قال ابن رجب الحنبليّ رحمه الله :

(عن ابن مسعود قال:

لو أن العُسر دخل في جُحر ؛ لجَاء اليُسر حتى يَدخل معه !!

ثم قال : قال الله تعالى :

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ ... !!

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب، واليُسر بالعُسر :

أن الكرب إذا اشتدّ وعظُم وتَناهى، وحصل للعبد الإياسُ من كشفِه من جهة المخلوقين ؛ تعلَّق قلبُه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله !!

وهو من أعظم الأسباب، التي تُطلَب بها الحوائج !!

فإن الله يَكفي مَن توكَّل عليه، كما قال تعالى :

﴿ومَن يَتوكل على اللهِ فهُو حسْبُه﴾... !!

قال الفضيل :

والله لو يئستَ من الخلق، حتى لا تريد منهم شيئًا ؛

لأعطاك مولاك كلَّ ما تريد ... !!

وأيضًا .. فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرّعه ،

ولم يَظهر عليه أثرُ الإجابة ؛ يرجع إلى نفسه باللائمة ... !!

وهذا اللومُ أحبُّ إلى الله من كثيرٍ من الطاعات ؛

فإنه يُوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه أهلٌ لِمَا نزل به من البلاء ، وأنه ليس بأهلٍ لإجابة الدعاء !!

فلذلك .. تُسرِع إليه حينئذٍ ؛ إجابةُ الدعاء، وتفريجُ الكرب ، فإنه تعالى عند المُنكسرة قلوبهم مِن أجلِه).

انظر: جامع العلوم والحِكم.

قلتُ :

وفي الجملة .. فتدبيرُ الحقّ عزَّ وجلَّ لك؛ خيرٌ من تدبيرك !!
وقد يمنعك ما تَهوى .. ابتلاءً ؛ ليبلُوَ صبرَك .. ؛
فأرِه سبحانه ؛ الصبرَ الجميل .. ترَ عن قربٍ ما يَسُرّ !!

بُثَّ شَوقَك .. وأكثِر ذِكرَك ؛ ليَذكرَك ربُّك !!

أخرج البخاريُّ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

أن نبيّ الله – صلى الله عليه وسلم –، قال لأبيّ بن كعب :

« إن اللهَ أمَرني أن أقرِئكَ القرآن » !!

قال: آللّهُ سمَّاني لك ؟!!

قال: « نعم » !!

قال: وقد ذُكرتُ عند رب العالمين ؟!!

قال: « نعم » !!

فذَرِفتْ عينَاه).

قلتُ :

رضي الله عن أُبيّ بن كعب، وأرضاه، ورفع درجتَه !!

قد كان من أهل القرآن، الذاكرين الله كثيرًا، بأعظم الذِّكر؛ وهو كلامُه !!

فاستحقَّ الثناء الأعلَى، والذِّكر الأرقى !!

فمَن أراد أن يَنال مثل هكذا شرَفًا ؛ فعلَيه بالقرآن والذِّكر الكثير ؛

فمَن ذكرَ اللهَ ذكرَه .. ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾!!

وليس الشأنُ أن تَذكرَه .. إنما الشأنُ أن يَذكرَك !!

راقِب ربَّك .. تَسلم ، وتَغنم ، وتَنعم !!

قيل لبعض السَّلف: عِظنِي وأوجِز ..

فقال :

إذا تكلَّمتَ .. فاعْلم أن الله يَسمعُك !!

وإذا نظرتَ .. فاعْلم أن الله يَراك !!

وإذا سكتَّ .. فاعْلم أنه عليمٌ بذات الصدور !!

قلتُ :

وهاهنا رأسُ الأمر وعمُوده وذروة سنامه !!

فمُراقبة الله؛ أصلُ كل صلاحٍ وخير ..

وعدم المُبالاة بذلك؛ الشرّ المستطير !!

ادعُ إلى الله ولو بكلمة؛ فربَّما صلحَت للمُناجاة اليوم، والشفاعة غدًا .. !!

فاللهُ لا يُعذِّب مَن دلَّ عليه مُخلصًا !!

قال ابن الجَوزي رحمه الله :

(ولقد جلستُ يومًا .. فرأيتُ حولي أكثر من عشرة آلاف !!

وما فيهم إلا مَن رقَّ قلبُه، أو دَمعَت عينُه !!

فقلت لنفسي :

كيف بك إن نَجوا وهَلكتِ ؟!!

فصِحتُ بلسان وجدي :

إلهي وسيدي .. إن قضيتَ عليَّ بالعذاب غدًا ؛ فلا تُعلِمهم بعذابي .. !!

صيانةً لكرمك ، لا لأجلي .. !!

لئلَّا يقولوا : عذَّب مَن دلَّ عليه) .

انظر: صيد الخاطر.

ثلاثٌ في ثلاث .. !!

أخرج البيهقي بإسناده إلى " أبي الحسين القاهري " ، قال :

(دخلتُ يومًا حلقة شيخي، وفيَّ استظهارٌ على الناس – إعجابٌ بنفسه – !!
فقال لي شيخي : لا تفعل – لاتغترّ – .. !!

فإن الله خَبأ ثلاثًا في ثلاث :

- خبأ رضاهُ في طاعته .. فلا تَحقرنَّ من طاعتِه شيئًا ؛
لعلَّ أن يكون فيه رضاه !!

- وخبأ سَخطه في معصيته .. فلا تحقرنَّ من مَعصيته شيئًا ؛
لعلَّ أن يكون فيه سَخطُه !!

- وخبأ أولياءَه في خلقه .. فلا تحقرنَّ من خلقه أحدًا ؛
فلعلَّه يكون ذاك الوَلِيّ).

قلتُ :

وعلى هذه تدورُ السعادة، في الدِّين والدنيا والآخرة !!
فاحْرص عليها ما حَييتَ .. فإنك إن فَعلتَ ؛
عِشتَ سعيدًا .. مِتَّ كريمًا .. بُعثتَ حميدًا !!

كُن من أهل الإخلاص؛ تُوهَب القَبولَ والمحبة .. وإلَّا ؛ فالرَّد والمَقت !!

قال ابن القيم رحمه الله :

(وقد جرَت عادةُ الله التي لا تُبدّل، وسُنَّتُه التي لا تُحوّل ؛
أن يَلبس المُخلصُ ؛ من المهابة، والنور، والمحبة في قلوب الخلق ،
وإقبال قلوبهم إليه ؛ ما هو بحسب إخلاصه، ونيته، ومعاملته لربّه !!
ويلبس المُرائي اللابس ثوبي الزور ؛ من المَقت، والمهانة، والبِغضة ؛
ما هو اللائق به !!

فالمُخلِص؛ له المهابةُ والمحبة .. وللآخر؛ المَقت والبغضاء).

انظر: إعلام المُوقعين.

وأن تَعفُوا أقرب للتَّقوى ولا تَنسَوا الفضلَ بينكم !!

في قوله تعالى:

﴿وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها فمَن عَفا وأصلَح فأجرُه على الله﴾ !!

قال الحسن البصري رحمة الله عليه:

إذا كان يومُ القيامة؛ نادى منادٍ من بطنان العرش :

ألا لِيَقُم مَن وجب أجرُه على الله !!

فلا يقوم إلَّا مَن عفا وأصلح).

ابن تيمية رحمه الله، في مجموع الفتاوى.

قلتُ :

وهذه من الأخبار التي يُستأنَس بها، ويُستَبشَر بمثلها !!

دون جزمٍ بثُبوتها، أو إجراء القواعد الحديثية عليها !!

فإنما مَوردها الاستئناسُ والاستبشار .. لا الاعتقاد والتَّعبّد !!

فاللهمَّ لا تحرمنا رضاك وتقواك !!

واجعلنا من العافين المُصلِحين !!

مِن جميل الدعاء !!

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله :

(وقال ابنُ عيينةَ : كان من دُعاء مطرِّف بن عبد الله :

اللهمَّ إنِّي أستغفرُكَ ممَّا تُبتُ إليكَ منه، ثمّ عُدتُ فيه !!

وأستغفرُكَ ممَّا جعلتُهُ لكَ على نفسي ، ثمَّ لم أفِ لك به !!

وأستغفرك ممَّا زعمتُ أنِّي أردتُ به وجهَك؛ فخالطَ قلبي منه ما قد علمتَ).

انظر: جامع العلوم والحِكم.